الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح – ورقلة–
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

النزعة الدينية في شعر القضاة
القاضي عياض أنموذجا

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
تخصص أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
خيرية حمية.

إشراف الأستاذة:
✓ نجلاء نجاحي.

السنة الجامعية: 2019–2018/1441–1440

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى من منحتني الحب والحنان وزرعت في نفسي كل معاني الصبر والصمود إلى من أنحني لها إجلالا وإكبارا إلى ريحانة قلبي أمي الحنونة.

إلى والدي العزيز حفظه الله وأنعم عليه بدوام الصحة والعافية.

إلى من كانوا سندا لي بعد الله عز وجل يفرحون لفرحي ويسرهم نجاحي إخوتي وأخواتي حفظهم الله ورعاهم جميعا.

إلى البراعم الصغار(أيوب، رنيم، صهيب، عبد الرقيب، منسَّة، إسحاق).

إلى كل عمال وعاملات قسم اللغة والأدب العربي قاصدي مرباح ورقلة وعلى رأسهم عمال المكتبة أخص بالذكر الأخت "آمنة" جزاها الله عنا كل خير وجعل ما تقدمه من خدمات للطالب في ميزان حسناتها.

إلى كل الزملاء والزميلات في قسم اللغة والأدب العربي الدين رافقوني من سنة أولى ليسانس إلى آخر سنة دراسية سنة ثانية ماستر.

إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة لإنجاز هذا العمل من بدايته إلى نهايته أخص بالذكر في هذا المقام (صالح بن عمر، رشيد كافي).

خيرية حمية

شكر وعرفان

في البدء الحمد والشكر لله عز وجل على نعمة العلم وعلى إعانته لي لإنجاز هذا البحث.

أتقدم بخالص شكري وتقديري وامتناني لأستاذتي المشرفة الدكتورة الفاضلة " نجلاء نجاحي" والتي تشرفت بها أستاذة مشرفة على كل ما قدمته لي من نصح وإرشاد لإنجاز هذا العمل

أطال الله في عمرها وأدام عليها الصحة والعافية وسدد خطاها إلى ما فيه الخير.

أتوجه بجزيل الشكر إلى من كانوا لي منارة في العلم أنارت طريقي إليه أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة والأدب العربي خاصة منهم من رافقوني في مشواري الدراسي.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان وجميل العرفان للذي لم يذخر جهدا في تقديم العون والمساعدة لي الأخ " صالح غزال " جزاه الله عني خير الجزاء ووافر الثواب.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة التي ستناقشني في هذا العمل على تحملهم عناء القراءة والتصويب.

خيرية حمية

المقـــدمـــة

المقدمـــة :

إن الإرث الأدبي الأندلسي جزء لا يتجزأ من الإرث الأدبي العربي الإسلامي، فلم يكن في بداياته الأولى سوى حلقة تواصل بينه وبين كل ما هو مشرقي فلم يحمل لنا بين طياته أي خصوصية تميزه عنه، إلا أن ما عرف به الشعر الأندلسي فيما بعد من لمسات فنية إبداعية مميزة جامعا بين ثناياه الكثير من المزايا، جعلت منه محورا دارت من حوله الكثير من الدراسات، فاجتذب إليه العديد من الباحثين المختصين في الميدان للاهتمام والعناية به فشغفهم حبا للإطلاع عليه والبحث فيه والكشف عن كوامنه الإبداعية، فراحوا يستنبطون منه ما أبدعه هؤلاء الشعراء من سمات فنية جمالية لم يعهدوا مثلها من قبل في الشعر المشرقي مفردين في ذلك لكل غرض دراسة خاصة ومستقلة عن باقي الأغراض الأخرى.

والشعر الديني من بين المواضيع التي حضيت باهتمام الدارسين، وهو أحد الأغراض الشعرية التي تداولت في الأندلس مند القرن الثاني للهجرة، حيث توجه العديد من الشعراء صوب الأغراض الدينية الثلاثة: الزهد، والتصوف، والمديح النبوي، إذ سجلت لهم الكثير من القصائد المتنوعة في هذا الباب، مع العلم أن هذه الأغراض لم تكن حديثة العهد في الأندلس بل هي امتداد للفكر العربي الإسلامي، إلا أنها شهدت تطورا وانتشارا واسعا وتزايدا كبيرا في القرنين الرابع والخامس الهجريين بسبب عوامل عدة متداخلة فيما بينها أسهمت إسهاما كبيرا في ذيوعها في أوساط المجتمع الأندلسي، فلم يختص بها الشعراء فحسب بل تعدتهم إلى فئات أخرى حساسة في المجتمع الأندلسي عرفت بتوجهاتها المختلفة في الحياة فنظم فيها حكام وعلماء وفقهاء وقضاة وأطباء وغيرهم، فأعطوا نماذج حية عن ذلك مجسدين

فيها أروع ما صدحت به قرائحهم، جامعين في الوقت نفسه بين المهنة وموهبتهم الشعرية فكانوا لنا خير مثال على هذا الازدواج الثقافي.

ومنه يمكنني الحديث عن أهمية هذا البحث والذي اصطفيت له عنوان:

" **النزعة الدينية في شعر القضاة، القاضي عياض نموذجا** "

تركز هذه الدراسة على إبراز تجليات النزعة الدينية التي سيطرت على تفكير الفرد الأندلسي عموما في تلك الفترة وكيف انعكست هذه الظاهرة الاجتماعية في شعر القضاة.

ونظرا لما يكتسبه هؤلاء القضاة من ثقافة إسلامية عالية تشكل لدي **الإشكال الجوهري للموضوع على النحو التالي:**

- ما مدى انعكاس الثقافة الدينية المشبعة بتعاليم الدين الإسلامي في أشعار القضاة؟

ينبثق عن هذا **الإشكال سؤالان فرعيان:**

* هل كان آثر ممارسة مهنة القضاء باديا في أشعار القضاة ذات الطابع الديني؟

* كيف تمثلت وتجلت هذه النزعة في شعر أحد كبار القضاة المشهورين في تلك الفترة القاضي عياض ؟ وما هي أهم السمات التي امتازت بها لغة شعره الديني؟

وما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو الوقوف على النتاج الشعري للقاضي عياض في عمومه هذا النتاج الذي لم يحض بعناية الدارسين مقارنة بما لقيه نتاجه النثري من اهتمام كبير مع التركيز على شعره الديني محور هذا البحث، خاصة أنه مثل أشهر القضاة في عهد المرابطين.

ومما لا شك فيه أن لكل بحث أهداف وغايات يسعى إلى تحقيقها، فتمحورت أهداف هذا البحث حول الإسهامات الشعرية ذات النزعة الدينة لبعض القضاة المشهورين في هذه الفترة من تاريخ الأندلس، إلى جانب تقديم دراسة متكاملة لديوان القاضي عياض في عمومه وشعره الديني في خصوصه والبحث عن العلاقة الكامنة بين مهنة القضاء وقرض الشعر والنزعة المنتشرة فيه من خلال شعره.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع المدروس أن أتبع خطة قوامها تمهيد وفصلين، أما التمهيد فأفردت فيه الحديث عن القاضي عياض معرفة بنسبه مولده ونشأته وكل ماله صلة بحياته مع الإشارة إلى أبرز الأحداث التي مر بها. وجاء الفصل الأول بعنوان " الشعر الديني في الأندلس وبواعثه " تناولت فيه نشأته وتطوره، ثم طرقت إلى أهم البواعث المساهمة في هذا التطور والتي لها علاقة مباشرة بانتشاره، ليتم بعده تسليط الضوء على مضامين الشعر الديني عند القضاة.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان " التجربة الدينية في شعر القاضي عياض " تناولت فيه بالدراسة والتحليل أبرز الموضوعات والمضامين التي ضمها الديوان عموما، ثم خصصت جانبا من الحديث عن مضامين شعره الديني، وجعلت آخر عنصر في هذا الفصل للحديث عن اللغة في شعر القاضي وأهم ما تميزت به، ليخلص البحث إلى خاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة.

أما المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث هو المنهج الموضوعاتي الفني الذي يتلائم

وطبيعة الموضوع المدروس، في حين كانت لي استعانة بالمنهج التاريخي وكان هذا في الجانب النظري.

وفي حدود ما قمت به من بحث بخصوص ما له علاقة بهذه الموضوع توصلت إلى مجموعة من الدراسات القريبة والمتقاطعة مع بحثي في عدة نقاط وكانت لي منها استفادة لإنجازه، مثل دراسة بعنوان شعر القضاة من الفتح إلى نهاية ملوك الطوائف لأشجع رشدي عبد الجبار، جامعة نابلس فلسطين(2006)، الزهد في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري لزينب بوصبيعة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة (2006)، الزهد والتصوف في عهد المرابطين في المغرب الإسلامي لسلطاني جيلالي، معهد الحضارة الإسلامية وهران.

ولتحقيق الهدف المرجو من هذا البحث اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أذكر من بينها: الزهاد والمتصوفة حتى نهاية القرن الخامس الهجري لمحمد بركات البيلي تاريخ الأدب الأندلسي لإحسان عباس، في الأدب الأندلسي لمحمد رضوان الداية، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري، بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحي الضبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لعياض بن موسى السبتي.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة، الدكتورة الفاضلة " نجلاء نجاحي " على ما أسدته لي من نصح وتوجيه ودعم لإخراج هذا العمل إلى النور.

خيرية حمية

ورقلة في 2019/05/29

تمهيد

ترجمة حياة القاضي عياض

تمهيـــد

ترجمة حياة القاضي عياض

نسبـــه :

تداولت الكثير من المصادر نسب القاضي عياض وكانت في أغلبها تجمع على نفس النسب مع نوع من الاختلافات الطفيفة في البعض منها، إلا أنني في هذا التقديم سأورد ما جاء به ولده أبو عبد الله في كتابه (التعريف بالقاضي عايض) فيقول عنه: «هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي وكان أبي رحمة الله عليه يقول: لا أدري هل محمد والد عياض أم بينها رجل هو جده»[1] أما نسبه فأنه ينسب إلى «يحصب قبيلة من قبائل حمير سميت باسم جدهم يحصب بن مالك»[2]، ويقول عن هذا المقري أن «يحصب: من حمير، وهو يحصب بن مدرك، حسب ما هو مذكور في كتاب الأنساب»[3] ويضيف الوادي آشي في نسب عياض السبتي ويشير المقري إلى هذا قائلا: «والسبتي: نسبة لسبتة، مدينة بساحل بحر الزقاق مشهورة»[4].

---

[1] أبو عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفه، مطبعة فضالة، المحمدية، ط:2، 1982 ص: 02.

[2] ابن فرحون: الديباج المذهب، ج:2، دار الثرات العرب للطباعة، القاهرة، د. ط، 1976، ص: 51.

[3] شهاب الدين بن المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج:1، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبى، مطبعة فضالة، المحمدية د. ط، د. ت، ص: 27.

[4] المرجع نفسه: ص: 29.

مولـــده:

تجمع الكثير من المصادر على أن مولد أبا الفضل كان بسبتة في منتصف شعبان سنة 476هـ وهذا ما أكده ولده في كتابه فيقول: «... ثم ولد لموسى ابنه عياض أبي عياض فيما رأيت بخطه في النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربعمائة بسبتة ».[1]

نشأتـــه :

نشأ القاضي عياض نشأة صالحة أساسها الدين والأخلاق والعلم، فقد كان حافظا لكتاب الله مولع بالعلم مهتما بالحديث النبوي فيقول ولده أبو عبد الله عن والده في كتابه التعريف « فنشأ على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه، معظما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه وساد جملة أقرانه».[2]

صفـاتـــه :

إن لهذه التنشئة الدينية التي شب عليها القاضي عياض أثر كبير في صقل شخصيته وتثبيتها بالقواعد التربوية الصحيحة، فتجسدت فيه الكثير من الصفات والأخلاق الدينية النبيلة والسامية، يقول عنه ولده أبو عبد الله أنه «... كان من حفاظ كتاب الله تعالى ... مع القراءة الحسنة والصوت الجهير... ريانا من الأدب، شاعر مجيدا... يستعمل في شعره الغرائب من صناعة الشعر، مليح القلم، من أكتب أهل زمانه، خطيبا فصيحا... حسن

[1] أبو عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، ص: 3- 4.

[2] المرجع نفسه، ص:4.

المجلس، كثير الحكاية والخبر، ممتع المحضر، عذب الكلام، مليح المنطق، نبيل النادرة نبيل الدعابة، صبورا حليما، جميل العشرة حسن الأخلاق، يكره الإطراء والإفراط في التصنع منه وله، منصفا لنفسه، منصفا لأهل العلم، محبا لطلبة العلم، مبادرا لقضاء الحوائج، صغير النفس غير متكبر، جوادا سامحا من أكرم أهل زمانه، كثير الصدقة والمواساة، عاملا مجتهدا، صواما، يقوم ثلث الليل الآخِر لجزء من القرآن... كثير المطالعة كثير البحث على العلم، قوي الخط دقيقه... هينا لينا من غير ضعف، صلبا في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم... محببا في قلوب العامة والخاصة، بعيد الصيت، جميل الوجه طيب الرائحة، نظيف الملبس باهي المركب ».[1]

شيوخـــــــه:

كان للقاضي عياض في مسيرته العلمية شيوخا كثر فمنهم من أخد عنهم ومنهم من استمع إليهم وفيهم من أجازه، أخد في بداية مسيرته العلمية عن شيوخ بلدته سبتة وفي هذا يقول ولده أبو عبد الله موضحا « أخد عن أشياخ بلده كالقاضي أبي عبد الله بن عيسى والخطيب أبى القاسم، والفقيه أبي اسحاق الفاسي وغيرهم»[2]. رحل القاضي عياض بعد هذه الانطلاقة العلمية متوجها إلى الأندلس وذلك سنة 507هـ ليستزاد من العلم ما تسنى له فكانت وجهته تحديدا إلى مدينة قرطبة فأخذ عن مجموعة من مشايخها منهم ابن عتاب وابن حمدين وابن الحاج وغيره من أعلام قرطبة، لتكن محطته الثانية بعد قرطبة مدينة مرسية وذلك سنة 806هـ قاصد أحد كبار علمائها وهو أبا علي الصفدي يقول في ذلك

[1] المرجع السابق ، ص: 5.

[2] المرجع نفسه، ص: 6.

محقق كتاب الغنية « والتقى أبا علي الصفدي بمرسية فسمع عليه الكثير ولازمه »[1] ويضيف ولده محمد في تعريفه أن والده اجتمع بعدد غير قليل من أعلام الأندلس أجازه الكثير منهم فيذكرهم قائلا هم: « علي الجياني، والشريح، والقاضي ابن شبرين، وأبو جعفر بن بشتغير، وأبو زيد بن مينتل وغيرهم من أعلام الأندلس.. وأجازه أبو عبد الله المازي، وأبو بكر الطرطوشي، وأبو عبد الله بن الحطاب، وحيدر وغيرهم من أهل مصر وإفريقيا والحجاز واليسير منهم لقيه وجالسه ولم يسمع منه».[2]

ولايتــه للقضاء:

بعد أن التقى القاضي عياض بمجموعة كبيرة من مشايخ الأندلس وعلمائها واخذ عنهم بقدر ما سمحت له هذه الرحلة العلمية من ملازمتهم، والنهل منهم والتعلم عنهم ليعود عياض إلى بلده الأم سبتة ليستقر فيها وذلك في سنه 508هـ، إن هذه الرحلة العلمية والتي كان على ما يبدو أن أبا الفضل قام بها بهدف الاستزادة من العلم والتمكن منه أكسبته هذه الرحلة كما كبير من المعرفه وهذا ما ألتمس في تكونيه العلمي والثقافي فكان عالما فقيها وشاعر وأديبا ونظرا لما يحمله من علم وفكر أجلسه أهل بلده للمناظرة ثم للمشورة ليكون قاضيهم فيما بعد وهذا ما تحدث عنه ولده قائلا: « وأجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما أو نحوها، وبعد ذلك بيسر أجلس للشورى، ثم ولي القضاء عام خمس عشر وخمسمائة، فسار فيها أحسن السيرة، محمود الطريقة، مشكور الخلة، أقام جميع الضروب على دروبها واختلاف أنواعها... ثم نقل إلى غرناطة عام إحدى وثلاثين

[1] عياض بن موسي السبتي: الغنية، تح: ماهر زهير جزار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1982، ص: 6.
[2] أبو عبد الله بن عياض: التعريف، ص:8-9.

وخمسمائة، فنهض إليها وتقلد خطة قضائها على المعتاد من شيمه السنية وأخلاقه المرضية مشكورا عند جميع الناس، لكن تشفين ضاق به درعه... فسعى في صرفه عن قضاء غرناطة، فصرف بعد انفصاله عنها زائرا أهله... ثم ولي قضاء سبته ثانية آخر عام تسعة وثلاثين وخمسمائة... و ابتهج أهل بلده وسار فيه السيرة التي عهدوا منه».[1]

تلاميذه :

تبوأ القاضي عياض مكانة علمية مرموقة في عصره، كان كثير العلم غزير المعرفة مما دفع الكثير من التلاميذ المحبين للعلم والساعين إليه للالتفاف من حوله والأخذ عنه زاول أبا الفضل التدريس في سن مبكرة وإن دل هذا على شيء إنما يدل على قدرة الرجل وتمكنه من العلم ودواليبه فلا يوجد تقريبا من عاصر عياض لم يأخذ منه شيئا في العلم «لا نكاد نجد أحدا من أهل الطبقة التي تلت طبقة عياض في تلك الديار إلا وقد تتلمذ عليه وأخذ العلم عنه»[2]، وبما أن للقاضي عياض تلاميذ كثر لا يسع المجال لذكرهم سأكتفي بذكر عدد منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فمن أشهرهم:

إبراهيم بن يوسف المري محدث وحافظ وفقيه لغوي أصله من الأندلس، أحمد بن عبد الرحمان الصقر محدث وفقيه لغوي وشاعر وأديب أصله من الأندلس، خلف بن عبد المالك بن بشكوال حافظ وفقيه ومؤرخ من قرطبة، عبد الرحمان بن أحمد الأزدي فقيه وأديب أصله

[1] المرجع السابق ص: 10-11.

[2] الحسين محمد شواط: القاضي عياض عالم المغرب و إمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، ط:1، 1999، ص: 239.

من الأندلس، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري إمام علم وعالم بعلوم القرآن ولغوي.[1] وغيرهم كثر ممن نالوا شرف أخذ العلم عن القاضي عياض.

وفـاتــه :

أجمعت جل المصادر على نفس تاريخ وفات القاضي عياض، إلا أنه كان هناك بعض التضارب في الأقوال والآراء حول سبب حدوثها بين من قال أنه مات مسموم وهناك من قال أنه مات مقتولا من قبل أمير الموحدين بسبب معارضته لحكمهم، لكن ولده أبو عبد الله لم يتعرض إلى هذا مطلقا في كتابه التعريف فتحدث عن وفاة والده قائلا:«... إلى أن خرج إلى الغزوة دكالة – إشارة إلى أمير المؤمنين– وخرج صحبته، فمرض بعد مسيرة مرحلة، فأذن له في الرجوع، فرجع إلى الحضرة، فأقام بها مريضا نحو ثمانية أيام، ثم مات ليلة الجمعة، التاسعة من جمادى الآخر من عام أربعة وأربعين وخمسمائة ودفن بها في باب إيلان داخل السور».[2]

مؤلفاتــه :

برع القاضي عياض في علوم شته منها: تفسيره للقرآن، السنة وعلومها، الفقه وأصوله اللغة والشعر وغيرها من أبواب العلم مما جعلت منه يحضى بالتنوع المعرفي والثقافي أهله إلى تأليف الكثير من الكتب في مجالات علمية مختلفة، تاركا من ورائه زاد معرفيا زاخرا هذه المؤلفات في مجموعها تعكس موسوعية الرجل وزاده العلمي والمعرفي فهي غنية بغناء

[1] ينظر: الحسين بن محمد شواط، القاضي عياض عالم المغرب، ص: 240-241.

[2] أبو عبد الله بن عياض: التعريف، ص: 13.

صاحبها، ومما سيتم عرضه من هذه المؤلفات سيكون استنادا لما أورده ولده أبو عبد الله في كتابه التعريف، فمنها ما أكمل إنجازه في حياته ومنها ما تركه مخطوط لم يكمل إنجازه، من المؤلفات المنجزة أذكر: الشفاء بتعرف المصطفى، وإكمال المعلم في شرح مسلم، والتنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، وترتيب الدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، والأعلام بقواعد علوم الإسلام، والإماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من فوائد، والمعجم في شيوخ ابن سكرة، والغنية في شيوخه ومن ما وجد مكتمل وهو مخطوط: مشارق الأنوار على صحيح الآثار، ونظم البرهان على صحة جزم ألآذان ومسألة أهل المشترط بينهم التزاور، وما وجد مخطوط ولم يكمل تأليفه: مقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، والفنون الستة في أخبار سبتة، وبغية الطالب.[1]

وتجدر الإشارة في هذا إلى أن الكثير من مؤلفات القاضي عياض ضاع لأسباب عدة فأكثر هذه الكتب وجدت مجرد عناوين مدونة في بعض المصادر مثل كتاب التعريف لولده أبو عبد لله دون وجود فعلي لها على أرض الواقع.

[1] ينظر: أبو عبد الله بن عياض: التعريف، 116- 117.

الفصل الأول

الشعر الديني في الأندلس وبواعثه

1- نشأة وتطور الشعر الديني في الأندلس

2- بواعث الشعر الدين في الأندلس

3- مضامين الشعر الديني عند القضاة

يختلط في فكر العوامّ أن الشعر العربي عموما مشرقي المنشأ والتميّز والفرادة والفذاذة الفنية إلا أن العارفين بالأدب وأحواله شعرا ونثرا، والنقاد المتشبعين من فهم خصوصية هذه الفنون والبيئة التي نشأت فيها ليجزمون بأن للشعر في الأندلس خصوصية نشأت بفعل ظروف مختلفة أبرزها البيئة، وهذا ما سيأتي بيانه في هذا الفصل.

1- نشأة و تطور الشعر الديني في الأندلس

1-1 النشأة:

عرف جزء كبير من الشعر العربي في الأندلس مسحة دينية امتازت بتوسع وتنوع ملموس مقارنة بما شهده نظيره في المشرق العربي، رغم أنه بدأ متأثرا به على غرار بقية الأغراض الشعرية العربية الأخرى، إلا أنه عرف فيما بعد بسمات خاصة ومتباينة تميزه عنه، كان هذا بخاصة في القرنيين الرابع والخامس هجريين، إذ سجل في هاته الفترة توجها كبيرا نحو الألوان الشعرية الثلاثة الزهد، التصوف، والمديح النبوي، فاصطبغت قصائد الكثير من شعراء هذا العصر بنزعة دينية جلية، مع العلم أنها لم تكن حديثة العهد به بل يعود أفق تواجدها إلى القرن الثاني للهجرة، إلا أنها شهدت قوة وانتشارا في القرنيين آنفي الذكر، إن الكثير منا يخلط بين الزهد والتصوف ويجعل منهما شيئا واحدا وهذا ليس بصحيح؛ لأن هناك خط يفصل بين مبادئ كل منهما لابد من الانتباه إليه للتفريق بينهما، فالزهد لا يعدو كونه باب أولي يلج منه الصوفي قبل انغماسه في سلوكيات التصوف الخاصة، فالعلاقة التي تربط بينهما هي أن الأول مقدمة للثاني لا أكثر، لذلك « ليس من الصواب أن نخلط

بين الزهد والتصوف أو نقرن فيما بينهم على أنهما شيء واحد، فالزهد غير التصوف، وإذا كان هناك ارتباط فيما بينهما فهو كون– الزهد – مقدمة للآخر وباب للدخول فيه».[1] ومنه يمكن القول أنه لا يمكن الربط بين الزهد والتصوف بأي حال من الأحوال فالزهد في مفهومه العام هو « كلمة جامعة لمعان كثيرة نجملها في قولهم هو ترك كل شيء لا ينفع في الآخرة، وثقة القلب بما عند الله ».[2] أما التصوف فهو يحمل معاني الزهد بمزيد من الإضافات الخاصة حيث يفرض على المتصوف الالتزام بها لذلك عرف الكثير التصوف على أنه « اسم جامع لمعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات كثيرة، فلا يكون الرجل بدونها صوفيا وإن كان زاهدا».[3] فالزهد مرحلة تمهيدية تهيئيه تسبق التصوف النهائي المكتمل بكل طرقه الخاصة.

أما ثالث الأغراض الدينية وهو المديح النبوي والذي اشتهرت به بلاد الأندلس دون غيرها من البلاد العربية، فكان ذو طابع خاص ومتميز عن المديح النبوي في المشرق العربي، فقد عرف عن المجتمع الأندلسي اهتمامه الكبير بمولد النبي الكريم، فكانوا يقيمون من أجل هذه المناسبة العظيمة أكبر الاحتفالات تعبيرا منهم عن ابتهاجهم الكبير بحلول يوم مولده، وبهذه الفرحة التي تغمر قلوب الكل لم يكن شعراء الأندلس بمنأى عن هذه الأجواء الاحتفالية فكانوا ينظمون أجود القصائد تزامننا مع هذه الذكرى الطيبة، مادحين فيها الرسول صلى الله عليه وسلم مشيدين بصفاته وأخلاقه الكريمة، مذكرين بسيرته الطيبة متوسلين به

[1] محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس الهجري ، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، 1993، ص: 05.

[2] ابن تيمة: الزهد والورع و العباد، تح: حمادة سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط،:1،1987، ص: 73.

[3] محمد بركات البيلي: الزهاد و المتصوفة في المغرب و الأندلس، ص: 6.

طالبين شفاعته عند الله عز وجل، معبرين له فيها دائما عن شوقهم وحنينهم اللامتناهي لزيارته وزيارة الأماكن المقدسة، وأكثر ما تميزت به هذه القصائد هو تداخلها الكبير مع كل من الزهد والتصوف لما يشكلنه من ترابط بينهم وهذا ما أشار إليه زكي مبارك عند محاولته إعطاء تعريف للمدائح النبوية فيقول هي: « فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص ».[1]

فالتحديد الزمني لبداية ظهور الشعر الديني في الأندلس متقاربة مع بدايته في المشرق العربي، حيث سجل إجماع شبه كلي عند الباحثين على أن بوادره في الأندلس تعود تقريبا للقرن الثاني للهجرة مع وجود بعض الدراسات التي ترى تأخرا نوعا ما في بداية التصوف والمدائح النبوية، حيث لم يعرف لهما ظهور فعلي في الأندلس إلا في القرن الثالث للهجرة.

جاء الزهد الأندلسي في بادئ الأمر متضمنا في أغراض شعرية أخرى، حيث ارتبط وجوده فيها بأسباب وخلفيات مختلفة وهذا ما أكده إحسان عباس قائلا: «عرف الشعر الأندلسي الاتجاه الزهدي في عصر سابق... وكان حينئذ يتلبس كثيرا بالشعر العلمي، أو يصدر عرض دواعي الشيخوخة وما تحدثه من خوف الموت وما بعده»[2] ليصبح بعد فترة من الزمن غرض قائما بذاته كاملا متكاملا بسماته الخاصة التي تميزه عن أي غرض أخر.

لم تكن بداية التصوف في الأندلس محددة بدقة بسبب تداخله مع الزهد أثناء ظهوره أول مرة، فالزهد في عمومه شكل النواة الأولى للتصوف الأندلسي بعدما زاد توسعا وانتشارا

[1] زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط:1، 1935، ص:17.

[2] إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق ،عمان، د.ط، 1997، ص:105.

«اتسعت ماهية الزهد وتشعبت وتنامت وتصاعدت مؤدية – في النهاية – إلى التصوف ولقد كان هذا التصاعد من الزهد إلى التصوف تدريجيا لم يلفت الأنظار إليه في أول الأمر أدى إلى وجود كثير من أوجه الشبه بين الزهد المنظم والتصوف الأول إلى الخلط بينهما فكثير من صفات الزهاد كانت هي نفسها عند المتصوفة الأوائل مع مزيد أوصاف وإضافات تميز التصوف عن الزهد»[1]، أدى هذا التداخل فيما بينهما إلى صعوبة التفريق بين كون الرجل منهم زاهدا أو متصوفا، هذا التوجه الصوفي الذي عرف في المجتمع الأندلسي في هاته الفترة لم يتجاوز السلوك الفردي في البداية، فلم يعرف بتبني جماعي إلا فيما بعد كون أن فكرته لم تظهر بشكل واضح ومستقل عن الزهد، فالفردية والتداخل هما أكثر ما تميز بهما التصوف في بداياته «...إن هذا التصوف الفردي المبكر في أغلبه مرحلة انتقالية بين الزهد والتصوف، فكان الكثير من رجاله يجمعون بين صفات الزهاد والمتصوفة، بل كان منهم من يعرف بالزاهد لكنه في سلوكه منحنى التصوف»[2] لهذا لم يعرف التصوف في بداياته بخصوصية كبيرة تميزه عن الزهد إلا في القليل منه.

لم يتخذ المديح النبوي شكلا مستقلا واضحا في إرهاصاته الأولى، إنما ورد متضمنا في أغراض شعرية أخرى نحو الزهد والرثاء وغيرها من أغراض الشعر العربي المعهودة، إذ لم يشكل خصوصية متكاملة في فكرته إلا بعد فترة من الزمن « لم تتبلور قصائد المديح النبوي إلا في نهاية القرن الخامس للهجرة كقصائد مستقلة وإنما ورد ضمن قصائد الاستصراخ أو

[1] محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في المغرب و الأندلس، ص: 22.

[2] المرجع نفسه، ص: 177.

الرثاء والزهد»[1] أما ما عرف به فيما بعد من خصائص فنية متميزة جعلت منه غرض شعريا قائم بذاته.

هكذا كانت الإرهاصات الأولى للشعر الديني في الأندلس الزهد، التصوف والمديح النبوي، حيث سجلت لهم بداية شبه متقاربة فيما بينهم فيها الكثير من التأثر بالشعر الديني في المشرق العربي.

1-2 التطـــــــور:

إن التطور الكبير الذي شهدته الأغراض الدينية في الأندلس خاصة في فترة حكم ملوك الطوائف، وما عرفه هذا العصر من تغير جذري على مستوى جميع الأصعدة بعدما كانت البلاد تنعم بالاستقرار والأمن والوحدة، ليتحول هذا كله إلى فوضى وانقسامات داخلية ومخاطر خارجية تهدد أمنه، فانعكست هذه الظروف خوفا وتوترا على نفسية الفرد الأندلسي فوجد الكثير منهم في الزهد والتصوف ملاذهم، لما فيهما من قرب إلى الله عز وجل وما أحوجهم إليه في هاته الظروف العصيبة وهو مفرج الهم وكاشف الكرب وليس لسواه هذا. عرف شعراء كثر في هذه الفترة بتبنيهم لهذا التوجه الديني في أشعارهم فكانت لهم فيه قصائد شته وباختلاف مضامينها، فظروف هذا العصر أسهمت بشكل كبير في وجود هذا الكم الكبير من النتاج الشعري ذو الطابع الديني « كان القرن الخامس هجري في دول

[1] عمر إبراهيم توفيق: فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق ع:1 المجلد: 5، 2010، ص: 10.

الطوائف، منطلقا لعدد غير قليل من الشعراء لنظم شعر الزهد، ونجد بعض الشعراء غلب على دواوينهم أو مجموعاتهم كأبي إسحاق الألبيري »[1].

عرف التصوف نضجا كبيرا في القرن الرابع للهجرة، ففيه تبلورت فكرته واتضحت معالمه مع جماعة عرفت بمبادئها وتصورها الخاص له « أما في القرن الرابع هجري وما بعده، فمن الملاحظ إن حركة الزهد قد تبلورت وتحولت إلى تيار صوفي معتدل».[2] أنتج هذا التوجه الصوفي المحض اتجاهين اثنين اتجاه معتدل أكثر ما ميز أتباعه الالتزام بالدين والعمل بما جاء فيه « لقد غلب على هذا النوع من التصوف الالتزام التام بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هذا بالإضافة إلى إتباع أخلاق السلف الصالح»[3]. أما الاتجاه الثاني فلسفي وكانت بدايته في عهد المرابطين، حيث كان أصحابه متأثرين بالثقافة الفلسفية اليونانية تأثرا كبيرا « أما الاتجاه الثاني الذي بزغ نجمه في الأندلس خاصة في العهد المرابطي، لما بدأ التصوف يتأثر بالتراث اليوناني كفلسفة أفلاطون وأرسطو التي ترجمت في المشرق ثم انتقلت إلى الأندلس بالإضافة إلى مؤلفات الفرابي وابن سينا وإخوان الصفا».[4]

فالبداية المعتدلة للتصوف هي أكثر ما ميز هذه الفترة ليعرف بعد ذلك منعرجا خطيرا تشوبه الكثير من البدع والانحرافات الدينية، مما دفع بالكثير للتصدي له ومحاربته على نحو ما فعل فقهاء المذهب المالكي.

---

[1] محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق، ط:1، 2000، ص: 81.

[2] عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 2000،ص: 29-30.

[3] الطاهر بوناني: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 – 7 هـ، دار الهدى للنشر و التوزيع، عين مليلة، د.ط، 2004، ص:103.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب و الأندلس في عصر المرابيطين، دار الطليعة، بيروت،ط:1، 1993، ص: 132.

أصبح المديح النبوي غرضا مستقلا قائما بذاته مستندا في ذلك على قواعد فنية خاصة فاتسع مجاله وكثر انتشاره خاصة في عهد الموحدين « وأخذت مساحته تتوسع ممتدا لقصائد مستقلة انتشرت في الأندلس في عهد الموحدين وبني الأحمر».[1] فتأزم الأوضاع في عصر ملوك الطوائف من الأسباب التي دفعت لتوجه عدد من الشعراء نحو المديح النبوي مستنجدين مستغيثين متوسلين برسول الله طالبين شفاعته عند الله عز وجل، هذا ما جعل قصائد المديح النبوي في تزايد كبير « وقد أخذت هذه المدائح تتكاثر في الأندلس مند عصر ملوك الطوائف الذي أصبحت فيه الأندلس دولا وإمارات كثيرة »[2] هكذا وجد الكثير من شعراء هذه الفترة في شخص الرسول صلى عليه وسلم سبيلا للتقرب إلى الله عز وجل أمالا منهم في التخفيف من معاناتهم.

لم يعرف الشعر الديني تداولا كبيرا في البداية ليسجل بعدها تطورا وانتشارا سريعا لم تشهده الأندلس من قبل، خاصة في القرنيين الرابع والخامس الهجريين وما عرفه من اضطرابات وتوترات لم تعهدها البلاد من قبل.

2- بواعث الشعر الديني في الأندلسي

وجد الكثير من أفراد المجتمع الأندلسي في الحياة الدينية والزهد سبيلا للبعد عن الدنيا ومغرياتها، فهذا التوجه لم تختص به فئة عن فئة أخرى بل أقبلت عليه كل طبقات المجتمع بمختلف توجهاتهم، فكان منهم الحاكم والعالم والفقيه وغيرهم ممن تبنى هذا التوجه فكان لهذا

[1] عمر إبراهيم توفيق: فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، ص: 10.

[2] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط:1، 1965، ص: 370.

الانعطاف الاجتماعي أثر بارز على نظم الكثير من الشعراء الأندلسيين، فجاءت قصائدهم موسومة بطابع ديني عاكسة في ذلك ما تتضح به شخصيات أصاحبها، ولا شك أن لهذا المنحنى الذي شهدته الحياة في الأندلس من أسباب ودوافع تضافرت فيما بينها لإرساء قواعده ونشره في أوساط المجتمع، فكانت بين اجتماعية وسياسية وثقافية ونفسية « أما في هذا العصر فكانت بواعثه مختلفة بعض الاختلاف فقد حشدته فوضى الحياة السياسية فزادت في حب الخلاص من عوائل الحياة وشجعته على طلب النجاة النفسية، حين كان يرى الأوضاع الاجتماعية تزداد سوءا»[1]، أفضى هذا كله إلى نزوع ديني واضح عند عدد غير قليل من الشعراء فكان لهذه البواعث والتي سيتم ذكر أهمها إسهاما كبيرا في نشر هذه النزعة وتطورها.

2-1 الباعث الأمني و السياسي :

تحدثت الكثير من الدراسات على أن واقعة الربض شكلت أول العوامل الدافعة لانتشار الزهد في الأندلس، وهي ثورة توجه أسباب اندلاعها للحاكم بن هشام الذي اشتهر بمجونه وحبه الكبير لمجالس الشرب واللهو والطرب، فأثار هذا غضب وسخط الفقهاء من حوله فسعى الكثير منهم لخلعه، وكان سبيلهم في هذا أشعار ينظمونها ضده محملة بعبارات معادية له فيها الكثير من التحريض « الزهد في الأندلس فقد ولد في أحضان الثورة على الحكم الربضي إذ كان أتقياء الشعر يتغنون بها في الليل وينظمونها للتحريض به »[2]. فكان الهدف الأول من وراء التغني بهذه الأشعار هو استبدال الحاكم برجل صالح يعنى بشؤون الأمة، عرفت هاته الفترة بجو مشحون تسوده الفوضى السياسية والفتن الداخلية فكان هذا

[1] إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المربطين، ص: 105.

[2] إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر السيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، ط:2،1969، ص: 16.

سببا عند الكثير لاعتزال الحياة والابتعاد عنها نهائيا وعن طواحين الصراع فيها فكان للقبوع في الثغور حلا للكثير منهم « فوضى الحياة السياسية وحالة المجتمع التي كانت تزداد سوءا على مدى الأيام، فألفينا طائفة من الزهاد يفرون من الحياة وينكصون على أعقابهم من الصراع معها ملتيهن بجراحها ملتمسين ملجأ ومغارات أو مدخلات »[1] فكان في اعتزال الحياة عند هذه الطائفة تقربا من الله وتفرغ كليا لعبادته فهم في أمس الحاجة إليه أكثر من أي وقت سابق، وبالمقابل كانت طائفة أخرى تعمل على عكس هذا الاتجاه تماما حيث فضل هؤلاء البقاء بين الناس لإسداء النصح لهم وبث الإرشاد والمواعظ بينهم، ليزدادوا قوة وثباتا وتحملا والصبر على ما يواجهونه من ضغوطات في حياتهم اليومية، حتى كان من بين هؤلاء الزهاد من كان غازيا متصديا للعدو « فقد كان من زهاد الأندلس من يغزو بلاد العدو غزوات كثيرة على قدميه ابتغاء الأجر »[2] فهذا التوتر السياسي الذي يهدد أمن البلاد واستقرارها ولد شعورا كبيرا بالخوف في وسط المجتمع، فكان التوجه إلى الرسول الكريم والاستنجاد والاستغاثة به من الأمور التي انتشرت بين الناس في هذه الفترة، فكانوا يتوسلون به إلى الله لتجاوز هذه المحن التي حلت بهم« هذه العوامل جعلت الناس يتوسلون بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليدفعوا عن أنفسهم ماحل بهم »[3] فكان في هذا الفعل ما يريح القلب ويبعث الطمأنينة ويعيد للنفوس ثقتها.

2-2 الباعث الاجتماعي :

انتشر الزهد والتصوف في الأندلس كردة فعل لما حل بالمجتمع الأندلسي من انحلال خلقي، فشاع فيه الفساد واللهو والمجون والطرب وانتشار لبعض الظواهر الاجتماعية التي تتنافي وتعاليم الدين الحنيف، كانت السعة والترف والرخاء الذي تمتع بهم الفرد الأندلسي أحد

[1] سعد إسماعيل شلبي: البيئة الاندلسية وآثرها في الشعر (عصر الطوائف)، دار النهضة ،القاهرة، د.ط، د.ت ص: 502.

[2] محمد بن محمد بن عبد المالك المراكشي: الذيل و التكملة، مج:1،تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي، تونس ط:1، 2012، ص: 222.

[3] فاطمة عمران: المديح النبوي في الشعر الأندلسي، مطبعة ليلي، ط:1، 1428هـ، ص: 90.

الأسباب لاستفحال مثل هذه الظواهر غير المعتادة والمكروهة بين الناس «الأندلس الإسلامية عرفت حياة الرخاء والسعة وشاع فيها المجون... وانغمس الناس في حياة اللهو والترف، كما عرفت كذلك الأتقياء والصالحين المتمسكين بدينهم أولئك الذين أخذوا بالزهد في الحياة ».[1] هذا الأمر دفع بالكثير من الأتقياء والصالحين إلى اعتزال هذه الأجواء والانصراف إلى الحياة الدينية وزهد الدنيا والتفرغ للعبادات، رفضا منهم لهذا الفساد الحاصل في المجتمع وإن كان في هذا الاستنكار طريقة غير مباشرة فهناك من تصدى له بطريقة مباشرة نحو ما فعل الكثير من الفقهاء من إسداء نصح وإرشاد مستعينين في ذلك بأسلوب الترغيب تارة و بالترهيب تارة أخرى.

كما كان لحب زيارة الأندلسيين للأماكن المقدسة وشوقهم المتجدد لها وهذا بحكم البعد الجغرافي للأندلس عن الحرم المكي والمدينة المنورة، حافزا كبيرا لنظم العديد من قصائد المدائح النبوية التي تفي بالغرض، معبرين فيها عما يختلج صدورهم من شوق وحنين لزيارة قبر النبي الكريم والوقوف بربوع البقاع المقدسة « ... والمظاهر الدينية التي أهتم بها الأندلسيون كاهتمامهم بالحج وزيارة رسول صلى الله عليه وسلم والتشوق للمعاهدة فهذه المسائل استدعت الشعراء أن ينظموا قصائد الشوق للمقدسات ويمدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأن يعبروا عن حبهم له وتعظيمهم لمقامه الكريم».[2]

2-3 باعث الشيخوخة :

مثل ظهور علامات الشيخوخة لدى الكثير من الناس إشارة وإنذارا يذكر صاحبه بدنو أجله، لذلك كانت الشيخوخة أحد العوامل الدافعة للزهد فبلوغ سن الشيخوخة ينبئ على رحيل مرحلة الشباب والقوة لتحل محلهما مرحلة المشيب والضعف، فكان زهد الدنيا هو توجه

[1] جودت الركابي: في الأدب الأندلسي،دار المعارف، مصر، ط:3، د.ت، ص: 47- 48.

[2] فاطمة عمران: المديح النبوي في الشعر الاندلسي ص:91.

الكثير من الناس في هذه المرحلة مبتعدين فيه عن كل ما مغرياتها متفرغين للتقرب من الله عز وجل عابدين تائبين منيبين له مستغفرين عن ما صدر منهم من ذنوب ارتكبوها في غفلة الشباب وغرور الدنيا، لذلك كان لعدد ليس بقليل من الشعراء قصائد محملة بعبارات حزينة مثقلة بالتحصر على ما ضاع من شبابهم من وقت لم يحسنوا استغلاله في طاعة الله وعبادته، فالشيخوخة شكلت هاجسا كبيرا من الخوف لدى الكثير لإحساسهم بقرب موعد مفارقتهم الدنيا وما سيحدث لهم بعدها « زهد الشيخوخة ويصدر عن الخوف من الموت وما بعده ويحرك إليه الشيب والضعف، إذ كان هذا الشعور هو الذي يدفع للتقوى والإقلاع عن الذنوب »[1] فظهور الشيب ينبئ عن قدوم الرحيل فيجعل من الكثير في حالة تأهب واستعداد له فيلجؤون إلى الله تعالى مستدركين ما ضاع منهم في شبابهم مستغفرين لله طامعين في رحمته.

2-4 باعث الرحلات :

عملت الرحلات المتبادلة بين المشرق العربي وبلاد الأندلس على إثراء هذه النزعة والإسراع في نشرها، فكان من بين جموع الوافدين للأندلس زهاد مشارقة عملوا خلال تواجدهم بها على التعريف بالزهد ونشره في ربوع القطر الأندلسي، وفي المقابل كان في الرحالات التي يقوم بها الأندلسيين إلى المشرق وإن كانت في أغلبها بهدف أداء مناسك الحج أو انتقال لطلب العلم أو بغرض تجاري عاملا كبيرا في نقل هذه النزعة ونشرها، حيث رحل العديد من العباد والزهاد إلى المشرق للتعرف عن قرب على الزهاد والمتصوفة المشارقة للأخذ منهم والتعلم عنهم وفور عودتهم إلى الأندلس عملوا على نشر ما تعلموه بين الأهالي

[1] سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية و آثرها في الشعر، ص: 504.

والعمل على استمالتهم إليه والترغيب فيه، عن طريق حكايتهم عن هؤلاء الزهاد المشارقة فكان لهذا العمل أثر فعال في ترسيخ هذه النزعة في المجتمع الأندلسي.[1]

2-5 الباعث المالكي :

الزهد من المبادئ التي تبناها العديد من فقهاء المذهب المالكي فكان في توجههم هذا أثر كبير في استقطاب عدد غير قليل من الأندلسيين للسير على خطاهم على الرغم من ظهور هذه النزعة قبل المذهب المالكي، إلا أن ما حضي به فقهاء المالكية من احترام وتقدير بين الناس من جراء ما يقومون به من إصلاحات مختلفة داخل المجتمع جعل العديد من الأفراد يلتفون حولهم ويقبلون عليهم، سعيا منهم لفهم دينهم والالتزام بضوابطه وأحكامه الشرعية نظرا لما اعتراهم من اهتزاز في الجانب الديني في هذه الفترة فهذا الاهتمام المالكي الكبير بالأهالي جعل منهم يميلون تلقائيا نحو المذهب المالكي لما فيه من تعاليم صارمة هم في حاجة ماسة إليها، لذلك كان الجمع بين الزهد والمذهب المالكي مبدأ تبناه الكثير من الأفراد في الأندلس والفضل فيه يعود للفقهاء المالكية[2].

2-6 الباعث النفسي والثقافي:

إن ثقافة الفرد الأندلسي واستعداده النفسي لتقبل هذه النزعة وتجاوبه معها أمر لا يمكن إغفاله أو التغاضي عنه، قد أسهم هذا الجانب وبشكل كبير في انتشارها داخل المجتمع الأندلسي إذ وكما هو معروف أن الفرد الأندلسي ذو ثقافة إسلامية عالية المستوى، مشبعة بتعاليم الدين الإسلامي متمسكا فيها كل التمسك بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية

[1] ينظر: أحمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في المغرب و الأندلس، ص:54- 55.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 58-59.

الشريفة، هذا التمسك جعل من نفسه تواقة متلهفة باحثة دائما عما يشدها إلى هذا الذين وتعاليمه، فوجد في هذا التوجه ملاذه وراحته النفسية وهذا بسبب تكوينهم الديني الذي نشؤ عليه « إن الشعراء الأندلسيين كانت نفوسهم مهيأة لهذا اللون من الشعر، بحكم ثقافتهم القائمة على حفظ القرآن، والعناية بعلوم الشرعية، إذ كانت الدراسات الأساسية عندهم تقوم على ركنين أساسين وهما: الدراسة الإسلامية والعربية »[1]. فإن لهذه التنشئة الدينة دورا بالغ الأثر في تكوين شخصية الفرد الأندلسي لما عرف عنه من محافظة والتزام ديني في أغلب الأحيان.

كل هذه العوامل أسهمت بطريقة أو بأخرى في نشر الشعر الديني في الأندلس واتساع مجاله، فارتفع عدد المتبنين لهذه النزعة حيث عرف الكثير من شعراء هذه الفترة بقصائدهم الموسومة بطابعها الديني.

3- مضامين الشعر الديني عند القضاة

إن تفشي الفساد وشيوع الانحلال الخلقي في وسط المجتمع الأندلسي خاصة في القرن الخامس للهجرة أمر جعل من الكثيرين يتمسكون بدينهم أكثر، محافظين عليه معتزلين الدنيا منقطعين لعبادة الله عز وجل، في حين ولد هذا المظهر السلبي الذي شهدته الحياة الأندلسية ردة فعل قوية تبنتها فئات عدة ذات شأن عظيم وتأثير اجابي في المجتمع خاصة منهم الفقهاء، الدين عرفوا بزهدهم للدنيا وسعيهم للآخرة، بحيث لم يقفوا موقف المتفرج على هذه

[1] زينب بوصبيعة: شعر الزهد في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ع:2، 2006، ص: 187.

المظاهر، بل كانت لهم مشاركة فعالة في التصدي لها والحد من انتشارها « أكثر شعراء الزهد من الفقهاء الذيـن ترجحت عندهـم كفة الدين عن الدنيـا، فصاروا يعملـون للآخـرة ويزرعون دنياهم ليجنوا ثمار هناك، دون أن يعتزلوا الحياة بل عمروها للآخرة، وشارك العديد منهم مشاركة فعالة في أحداث عصره »[1]، فقد تميز هؤلاء بأشعارهم ذات الطابع الديني المحمل بالمعاني الإسلامية السامية، ليمتد هذا الطابع إلى فئات أخرى ذات وزن في المجتمع، ومن بين هذه الفئات فئة لا تقل مكانتهم الاجتماعية ولا العلمية وزنا عن الفقهاء وهم القضاة، والدين عرفت طائفة منهم بقرض الشعر بمختلف طبوعه فكان الشعر الديني أحد هذه الطبوع التي تناولتها هذه الشريحة فجاءت أشعار عدد من القضاة موسومة بتوجه ديني بارز، تدور كلها حول معاني إسلامية قوامها القرآن والسنة النبوية الشريفة فتنوعت موضوعاتهم بين وعظ وتذكير بالموت ويوم الحساب وإعلان توبة أو ندم على ذنب، ومن هذه المواضيع الواردة عن القضاة أذكر منها:

3-1 نبد الدنيا و تحقيرها:

كان الحديث عن ترك الدنيا والتنفير منها والترغيب في نعيم الآخرة والسعي لنيل السعادة فيها، من المواضيع التي كثر تناولها في أشعار القضاة فركز الكثير منهم على تذكير نفسه والناس بزوال الدنيا ونعيمها وما متاع الإنسان وسعادته الحقيقة إلا في دار البقاء مصداقا لقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ**

[1] منجد مصطفى: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1986، ص: 198.

الْغَرُور ﴾[1] فمتاع الدنيا لا يساوي شيء عند الله عز وجل مقابل ما ينتظره الإنسان من خيرات الآخرة ونعيمها، لذلك جاءت دعوة الكثير منهم للتقليل من قدر الدنيا وعدم التعظيم من شأنها والسعي للمواظبة على العبادات والإسراع لفعل الخير على نحو ما دعى إليه القاضي أبو عمر ابن عبد البر* قائلا:

تَجافَ عن الدنيا وهوّنْ لقدرهَـــا ووفِّ سبيلَ الدين بالعروةِ الوثْقَـــى

وســارعْ إلى تقوى الله سرّاً وجهـرةً فلا ذمة أَقْوَى هُديتَ من التَقــوَى[2]

فابن عبد البر في هذه الأبيات يحث القارئ وبدعوة صريحة إلى التقليل من الاهتمام بالدنيا لأن لا فائدة من هذا كله وعليه بالمسارعة إلى طاعة الله وعبادته في السر والعلن فهذا هو الأصلح وواجب العبد اتجاه ربه.

ومن القضاة الدين كانت لهم وجهة نظر في الحياة وموقف خاص منها القاضي

أبو الوليد الباجي* فيقول متحدثا إلى نفسه:

إذا كنْتُ أعلـــمُ عِلْمــاً يقينـــاً بأنَّ جميـــعَ حياتــي كساعَـــهْ

---

[1] فاطر: الآية:05.

* هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ولد: 367هـ، ت: 463 ترجم له في: مطمح الأنفس، ص: 294 وبهجة المجالس، ق1، ج1، ص: 8.

[2] المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج:4، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1986،ص: 28.

** هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، أحد أقطاب المذهب المالكي، ت:474هـ ترجم له في: الدخير، ق2، مج 1، ص: 94، نفح الطيب: مج2، ص: 67.

فَلِـــمْ لا أكـــونُ ضَنيناً بِهـَـا وأجْعَلها فـــي صلاحٍ و طاعــهْ[1]

فالقاضي يؤكد في هذه الأبيات بان وجوده على هذه البسيطة لا يساوي أكثر من ساعة فلما لا يستغل إذا هذا الوقت كما يقول متسائلا في فعل الخير وطاعة الله أفضل له من السعي وراء دنيا فانية لا محالة.

3-2 التوبــة:

التوبة من المواضيع التي تناولها القضاة في أشعارهم فكانت تحمل في طياتها الكثير من عبارات الندم وطلب المغفرة والعفو من الله عز وجل، بعد ما أثقلت الذنوب كاهل صاحبها فتوجه بها إلى الله طالبا رحمته به، فوخز الضمير والشعور بالذنب هو الدافع للعديد من الشعراء للنظم في هذا الباب على نحو ما قاله القاضي أبو الوليد الباجي نادما عما صدر منه من ذنب:

تـداركتُ من خَطَـأيٍ نادِمـــــاً أَنْ أَرْجُو سِوىَ خَالَقي رَاحِمَـا

فـــلا رُفِعَتْ صَرْعتـــي إنْ رَفَعْـتُ يـــدَّي إلـــى غَيْـرَ مُـولَهَـــا

أموتُ ولا أدْعو إلى مَن يَمـــوتُ بمـــا ذا أُكفّـــر هَـذا بِمَـــا ؟[2]

القاضي أبو الوليد في هذه المقطوعة يقف معترفا بذنبه نادما عما صدر منه من فعل مخالفا فيه لأوامر الله عز وجل فهو لا يرجو إلا رحمته به والعفو عنه وتجاوز ما قام به في حقه.

---

[1] صلاح الدين بن خليل الصفدي: الوافي بالوفيات، ج:15، تح: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار الأحياء و التراث العربية، بيروت، لبنان، ط:1، ص: 230.

[2] المرجع نفسه، ص: 230.

3-3 الخوف من الله والتضرع اليه:

شكل الخوف من غضب الله وشدة عقابه هاجسا كبيرا في نظم عددا من القضاة، فهم يخافون أشد الخوف من ذلك اليوم الموعود يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم، لذلك وجد الكثير في التضرع لله وسيلة لطلب المغفرة والعفو من الله عز وجل فهذا القاضي بن الفرضي* يطرق باب الله عز وجل متضرعا مناجيا له قائلا:

أسيـرُ الخَطايَا عِنـدَ بابكَ واقفُ علـى وَجَـلٍ ممَّـا بِـه أنْتَ عــارفُ

يخافُ ذنوباً لم يغِبْ عنك غيبُها يرجوك فيها فَهـو راجٍ وخـــائفُ

من ذا الذي يُرْجى سواك ويُتّقـي و مالكَ في فصلِ القضاء مُخـالِفُ[1]

القاضي بن الفرضي في هذه الأبيات يصرح بخوفه من الله في ذنوب أثقلت كاهله جعلت منه كالأسير يقف عند باب ربه مناجيا متضرعا له راجيا طامعا كله أمل في أن يغفر له الله ويتوب عليه، ويواصل في نفس المضمار متضرعا مناجيا الله خوفا من يوم اللقاء ويوم يولوا عنه الأهل والأصحاب مفزوعا من وحشة القبر وظلمته فيقول:

فيا سَيِّدي لا تُخْزني في صحيفتـــي إذا نُشرَتْ يومَ الحســابِ الصحـائفُ

كنْ مؤنسي في ظلمة القبر عندمــا يَصُدُّ ذوو القربى ويجـف المــؤالفُ

لئن ضاق عني عَفْوُك الواسع الذي أُرجِّــي لإسرافـــي فأنِّــي لتَـــالِفُ[2]

---

* هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، ولد:351هـ، ت: 403هـ ترجم له في مطمح الأنفس، ص:284.

[1] المقري: نفح الطيب، مج:2، ص: 129.

[2] المرجع نفسه، ص: 129.

وهذا القاضي محمد بن عبد الله بن العربي* يصف لنا خشوع وتضرع عباد الرحمان وهم في أصدق لحظاتهم مع الله عز وجل قائلا:

إليـك إله الخَّلـق قامـــوا تعبُّـــدًا وذلّــوا خضوعًا يرفعــون لك اليَـدا

بإخـلاصِ قَلْبٍ وانتصــاب جَـــوارِحٍ يَخــرُّون للأَذقان يَبكــون سُجُّـــدًا[1]

هي صورة جسد فيها تذلل العبد المسلم لربه، وعيشه الدائم بين خوف من ذنوب ارتكبها في حق الله عز وجل و رجاء في مغفرته وطمعا في رحمته به.

3-4 الوعظ والنصح :

وهو ما يكون عادة تذكيرا أو زجرا أو تخويفا أو دعوة صريحة لفعل الخير، ولا يكون هذا إلا بأسلوب لين ورقيق يتبعه الواعظ لاستمالة القلوب والتأثير في النفوس لبلوغ الهدف المنشود وزرع الفكرة المراد إيصالها للناس، وهذا ما أكد الله عز وجل على فعله لنشر الإسلام في ربوع المعمورة موحيا لرسوله الكريم ﴿ و أدْعُ إلى سبيل ربك بالحكْمَةِ والموعِظَة الحسَنَةِ ﴾[2] هذا الأسلوب أتبعه العديد من القضاة في أشعارهم من إسداء النصيحة والنهي عن المنكر والحث على فعل الخير على نحو ما قاله القاضي أبو الوليد ابن الصفار*:

---

* هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أحمد بن محمد بن العربي القاضي الأشبيلي، ولد: 468هـ،، ت: 543هـ ترجم له في: بغية الملتمس 1، ص: 129.

[1] الضبي: بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ج:1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط: 1، 1989، ص: 129.

[2] النحل: الآية:125.

** هو يونس بن مغيث أبو الوليد المعروف بن الصفار، ولد: 338هـ، ت: 424هـ ترجم له في: مطمح الأنفس، ص: 289،تاريخ قضاة الأندلس، ص: 59-102.

سَـــارِعْ إلى الخَيْـــرِ ويـــادِرْ بـــه فـــإنَّ مِـــنْ خَلْفِـكَ مَـــا تَعْلَـــــمُ

لا تَسْـأَمْ الكَـــدَ طُـــولَ السَّـــــرى فَطـــالِبُ الفِـــرْدَوْسَ لا يَسْـــــأَمُ[1]

فالقاضي ابن الصفار يحث القارئ على الإسراع لفعل الخير والمبادرة به وعلى العبد أن لا يبدي تذمرا من كثرة العبادات والطاعات مادامت الفردوس مطلبه وأمنيته.

وينهى منذر البلوطي* في هذه الأبيات عن القيام بفعل التصوير وتجنب قدر الإمكان الإقدام عليه فيقول:

تجنَّـــبْ بِجَهـــدكَ مـا صـــــوَّرا إن كـــان فـــي سِتْـــرٍ أو ميثـــرهْ

فـــإن الرســـولَ عليـــه الســـــلامُ أحقَّ العـــذاب لمـــن صـــــوَّرهِ[2]

جمع منذر البلوطي في هذه المقطوعة بين النهي والترهيب، فهو ينهي على فعل التصوير ويرهب من سولت له نفسه فعل ذلك فالرسول عليه السلام أكد على أحقية العذاب لمن قام بهذا الفعل.

3-5 التذكير بالموت والاستعداد له:

الموت هو ذاك المصير المحتوم الذي ينتظر كل إنسان، لذلك كانت ضرورة التذكير به والاستعداد له من الأمور التي أولاها الكثير من الشعراء اهتماما في قصائدهم، فعلى العبد

---

[1] عياض بن موسى السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج:8، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، د. ط، 1983، ص: 18.

* هو مندر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن قاسم بن عبد الله ابو الحكم، ولد: 273هـ، ت:355هـ، ترجم له في مطمح الأنفس، ص:284، تاريخ قضاة قرطبة، ص:66-75.

[2] أبو الحسن علي بن بسام: الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق:2، مج:1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة،يروت، لبنان، د. ط، 1997، ص: 103.

المسلم أن يعي جيد أن هذه الدنيا وما سخر له فيها فهي لا تعدو إلا جسرا نعبر من خلاله للآخرة، لذلك حثنا الرسول الكريم على الإكثار من ذكر الموت فقال:((**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**))[1] ويعني الموت فبذكره تستقيم النفوس ويتضاءل فيها حب الدنيا لما بينها وبين الموت من تناقض فمن الاستحالة أن يجتمعا في قلب واحد، فكان التذكير بالموت والاستعداد له من المحاور التي تناولها عددا من القضاة في أشعارهم فهذا القاضي أبو الفضل الأعلم* في هذه الأبيات يذكر بالموت والاستعداد له قائلا:

المـــــوتُ يُشْغـــــلُ ذِكـــــرُهُ عـــن كُـــلِّ مَعْلُـــومٍ سِـــــوَاهْ

فأعمَـــــرْ له رَبْـــــعَ ادَّكـــــا رك بالعشيِّـــــةِ والغَـــــدَاهْ

وأكْحـــــلْ بـه طَـــــرْفَ اعتبـــــا رِكَ طُـــــولَ أيَّـــامِ الحَيـــــاهْ

قَبـــــلَ ارتكـــــاضِ النَّفْسِ مـــا بيـــن التَّـــــرائِبِ واللَّهَـــــاهْ[2]

يؤكد أبو الفضل في هاته الأبيات على ضرورة التفكير الدائم بالموت وأن نحرس كل الحرس على الالتزام بالعبادات والطاعات فلا ندري أي لحظة يباغتنا بقدومه ونحن عنه في غفلة الحياة منشغلين.

ويقول أيضا في هذا القاضي منذر البلوطي حاثا على ضرورة الاستعداد للموت:

فمـــــــــالك لا تستعـــــــــدُّ إذاً لـدارِ المُقَـام ودار المقـــرْ

---

[1] أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي،ج:4، الحديث رقم: 2307، ص:278.

* هو جعفر بن محمد بن يوسف بن سليمان بن عيسى، ولد: 478هـ، ت: 547هـ، ترجم له في: مطمح الأنفس، ص: 302، نفح الطيب، ج4، ص: 31.

[2] أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان: مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: أحمد شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1983، ص: 306- 307.

تــرغب عن فَجْـــأَةٍ لِلْمَنُـــــــونِ وَتَعْلَـمُ أنْ لـيس منهــا مَفَــرْ

فــإمّا إلـــى الجنّـــــة أُزْلِفَـــتْ وإمّــا إلى سَقَـــر تَسْتَعـــــرِْ[1]

فالاستعداد للموت والتفكير بمفاجأته لنا هو ما دعى إليه القاضي المنذر البلوطي في هذه الأبيات، كيف لا وهو ليس منه مفر ساعتها يتحدد المصير الذي اختاره العبد لنفسه إما الجنة وإما النار.

1-الاعتراف بالنعم:

الحمد و الشكر من الشيمات التي يجب أن يتحلى بها المسلم وأن يكون دائم الرضا بما أنعم الله عليه من نعم، لذلك وعد الله عباده وعد الحق بالزيادة في النعم لمن أعترف بها مصداقا لقوله تعالى ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2] فكان هذا الموضوع محط اهتمام عددا من القضاة، حيث وجدت لهم أشعار محملة بهذا المعنى ومنها قول القاضي ابن أبي عيسى* في هذا الباب مفصحا عن شكره لله حامد له على كل نعمه:

كُــلُّ ذَا نِعَـــمٌ مِنْ الله عِنْـــــدِي فَأنَــا حَامِـــدٌ عَلَيْهَا شَكُـــورٌ[3]

الشاعر في هذا البيت راضيا حامدا شاكرا الله على كل ما أنعم به عليه من النعم.

ويقول أبو الوليد الباجي في هذا أيضا معترف بنعم الله عليه:

---

[1]. المرجع السابق، ص: 249.

[2] إبراهيم: الآية: 7.

* هو محمد بن عبد الله بن أبي عيسى بن يحي بن يحي الليثي ابو عبد الله، ولد: 284هـ، ت:338هـ ترجم له في مطمح الأنفس، ص:253، تاريخ قضاة الاندلس، ص: 59-62.

[3] عياض بن موسى السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج:2،ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1997، ص: 88.

الحمـــــدُ للهِ حَمـْدَ مُعْتـــــرفٍ بـأنَّ نُعمــاه لـــيس نُحصيهـــا

وأنَّ مـــا بالعبـــاد مِنْ نِعَـــمٍ فـإنَّ مَوْلـى الأنـــام مُوليهـــا

وأنَّ شكـــري لبعضِ أنعمُـــــه مـن خيـــر ما نعمـــةٍ يواليهـــا[1]

الاعتراف بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى هي من الأخلاق النبيلة التي يجب أن يلتزم بها العبد تجاه ربه، هذا ما أشار إليه الشاعر في هذه الأبيات لأن ما بالعبد من نعم هو من أفضال الله عليه وما يكون جزاءه مقابل هذا كله إلا الحمد والشكر على هاته النعم.

ويقول ابن عبد البر في هذا المضمار أيضا:

ولا تَنْسَ شكر الله في كلّ نعمـــةٍ يَمُنُّ بها فالشكرُ مستجلِب النُّعمى[2]

فابن عبد البر في هذا البيت يوصي المسلم أن لا يغفل على شكر الله على كل النعم التي من بها عليه ولما هذا الفعل من خير يعود على صاحبه.

2- الشباب و الشيب:

اقترن الحديث عن الشيب في أغلبه بالتذكير بالموت واقتراب موعد الرحيل فكان هذا سببا عند الكثير لزهد الدنيا وترك ما طاب فيها عاكفين على عبادة الله عز وجل استعداد منهم ليوم الآخرة، لذلك جاءت أشعار الكثير منهم تنضح بعبارات الندم على ما فات من شبابهم وهم في لهو الحياة منغمسين فيقول المنذر البلوطي معبرا عن هذا في هذه الأبيات:

ثَـلاثٌ وسِتُّـونَ قَـدْ جُزْتَهـــا فمـــاذا تُؤَمِّـــل أَوْ تَنْتَظِـــــرْ

---

[1] ابن بسام: الدخيرة، ق:2، مج:1 ص:104.

[2] المقري: نفح الطيب، مج:4، ص: 29.

وحــلَّ عليــكَ نديــرُ الـــمَشِيبِ فمـا ترعـــوي أو فمـا تَزْدَجِـــــرْ

تمـرُّ لياليـــكَ مـــرَّاً حَثِيثَـــــاً وأَنْتَ علـــى مـــا أرى مُسْتَمِـــــرْ

فلـــو كُنْتَ تَعْقِـــلُ ما يَنْقَضـــي من العُمْـــر لا عتضْتَ خَيْراً بَشَـــرْ[1]

ففي هذه الأبيات لوم وعتاب إلى من تجاوز سن الشباب وهو في حب الدنيا لا يزال منهمكا، رغم ما جاء إليه من نذير ينبئ بقدوم الرحيل إلا أنه في غفلة عن هذا مستمر، فلو أدرك صاحبه أن العمر منتهٍ ما كان هذا حاله واستقام وكان خير خلق الله.

ويقول أيضا في المضمون:

كم تَصَابَى وقد عــلاك الــمشيبُ وتَعَـامـــى عَمْـــداً وأَنْتَ اللَّبيـبُ

كَيْفْ تَلْهــو وقــد أتــاك نَدِيُــر أَنْ سيأتــي الحِمَــامُ مِنْك قـــريبُ

يا سفيهاً قـد حَـــان مِنْه رحيـــلٌ بعــد ذاك الرحيـــل يومٌ عصيــبُ[2]

ارتبط الحديث في هذه الأبيات بين ظهور الشيب والضرورة الحتمية وهو الموت فجاءت كلمات هذا المقطع بين استغراب و تساؤل وزجر في نفس الوقت، فالشاعر لا يخفي استغرابه من تصابي في سن المشيب متسائلا كيف تحلو الحياة بعد هذا النذير الذي يعلن اقتراب وقت الرحيل وما ينتظر صاحبه بعده.

طبع شعر هؤلاء القضاة بشعور صادق وعاطفة نبيلة، مع كثير من القصدية المتنوعة بتنوع المواضيع المطروقة وما تقتضيه لبلوغ الهدف المنشود، مما أدى هذا إلى افتقارها من

---

[1] ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص: 249.

[2] المرجع نفسه، ص: 239.

الخيال لارتباطها أكثر بجانب العقل، فتراوحت ألفاظ هذه الأبيات بين ترغيب وترهيب محمل بكثير من المعاني المستوحاة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والسنة النبوية الشريفة.

الفصل الثاني

التجربة الدينية في شعر القاضي عياض

1- موضوعات الشعر عند عياض

2- مضامين الشعر الديني عند عياض

3- التشكيل الفني في شعر عياض

استأثر أهل العلم والحكمة على منافذ الحكم في الأندلس، فحفظتهم كتب التاريخ والفكر والحضارة بأسمى معاني الرقي، وجعلتهم يظهرون بمظاهر رفيعة ميزتهم عن غيرهم في ذلك الزمان، ومن أولئك القاضي عياض، وفي ما يلي خير أشعاره وتمسكه بدينه فيها.

1- موضوعات الشعر عند عياض:

أشتهر القاضي عياض بكتابته النثرية الكثيرة والقيمة، في حين كان له نتاج شعري لا يستهان به، فهو صاحب موهبة فده تعكس قدرته الكبيرة على قرض الشعر قد عرف بحذاقته فيه متقن له متحكم في صناعته، إلا أن هذا التوجه الشعري لديه لم يثر اهتمام الدارسين ولم يلق من العناية الكافية مما لقيه نتاجه النثري، فرغم ما أنشده أبا الفضل من شعر فلم يعثر إلا على القليل منه وعن هذا يقول ولده أبو عبد الله في كتابه التعريف « فيما أثبته من نظمه دليل على حذاقته في صناعة الشعر وعلمه كان شعره رحمة الله عليه في شبيبته كثير لكني لم أجد منه بخطه إلا يسر»[1]. فما وجد من شعر له كان نقلا عن أصدقائه فأبا الفضل لم يدون منه شيئا وهذا ما أكده ابنه قائلا« وأكثر ما عندي منه إنما اتخذته عن أصحابه لا عنه، لأنه لم يدونه و لا قيده ».[2] بالإضافة إلى ما وجد مدون في ثنايا بعض المصادر خاصة التي عنت بالترجمة له إن إجادة أبا الفضل لنظم الشعر وبراعته فيه دفعت بالكثير ممن تناولوا التعريف به في مؤلفاتهم إلى استحسان صنعته والثناء عليه على نحو ما قاله عنه بن فرحون في ديباجه

[1] أبو عبد الله محمد بن عياض، التعريف ص:101.

[2] المرجع نفسه، ص: 101.

«شاعر مجيد ربانا في الأدب ».[1] رغم ما كان لأبا الفضل من شعر فهو لم يتعد عنده الأبيات أو المقطوعات الصغيرة، فقل ما نجد ما طال منه وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن القاضي عياض لم يكن متفرغا كل التفرغ لقرض الشعر أمام ما كان يشغله من أمور عملية وفكرية في حياته، إلا أن ما وصل من شعره جاء بمواضيع عدة ومضامين متنوعة فكان فيه من الغزل والوصف والمدح والشوق والحنين والإخوانيات والمراسلات وغيرها من المواضيع المختلفة، ومن نماذج ما ورد إلينا أذكر ما يلي:

1-1 في الـوصف:

كان القاضي عياض ممن استهوتهم طبيعة الأندلس الخلابة لوصفها والتغني بجمالها على غرار الكثير من الشعراء الأندلسيين، فكان له في وصفها هذه المقطوعات فيقول واصفا لنا خامات الزرع بين شقائق النعمان:

انْظُــرْ إلى الزَّرْعِ وخامَاتــــه تَحْكي وقَدْ مـاسَتْ أمَامَ الرَّيَــاحْ

كتِيبَــةٌ خَضْــراءَ مَهْزُومــــةٌ شَقائِقُ النُّعْمَـانِ فِيهَا جِـــــرَاحْ[2]

ويقول أيضا في وصف جمال بليونش:

بَليــونش جَنَّــة ولكــــنْ طريقُهــا يَقطْــــع النِّيـاطَــا

كجنَّــة الخُلْــد لا يَراهــــا إلا الــذي جــــاوَز الصِّـراطَــــا[3]

---

[1] ابن فرحون: الديباج المذهب، ج:2، ص:47.

[2] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، مراجعة: على الصقلي، تقديم: حسن جلاب، بني أزناس، سلا، المغرب، ط: 1، 2001، ص: 47.

[3] المرجع نفسه، ص: 27.

1-2 في الغـزل :

الغزل من الأغراض العربية القديمة الذي عرف تطورا وانتشارا كبيرا في وسط المجتمع الأندلسي فها هو أبا الفضل ينشدنا بهذه الأبيات متغزلا:

أذاتَ الخالِ كَـــمْ ذَا تنْتَضِينَـــا علَـــيَّ سُيُـــوفَ عيْنَيْكِ انتضـــاءَ !

بمطْلِكِ لِـــي مواعِدَ أقْتضِيهـــا مِـنَ التَّوْرِيدِ والـــلَّعَسِ اقتِضَـــاءَ

فقضِّي وعْـدَ مطلِكِ وأنْجِزِيـــهِ خيارُ النَّـــاس أحْسَنُهُـــمْ قَضَـــاءَ[1]

و يقول أيضا في البعد و لوعة الفراق:

يا رَحِلينَ بالفُـــؤادِ تحمَّلُـــــوا أيُـرى لكـم قبْلَ الممـاتِ قُفُـــولُ؟

أمَا الفؤادُ فَعِندكُـمْ أنْبـــــاؤُهُ ولـواعِـجٌ تنتابُـهُ وغليـــــــلُ

أتُرى لَكُمْ علمٌ بمنتزحِ الكـــرَى عن جفـنِ صبَّ ليله مـــــوْصُلُ؟[2]

1-3 في المـدح :

عرف عن القاضي عياض أنه غير محب للإطراء أو المجاملة أو الثناء على أحد إلا من كان أهلا لذلك، فقلما يلجأ إليه دون إفراط أو مبالغة فيقول ما يناسب أصحابه فقط على نحو ما مدح به أحد الأقوام قائلا:

ولِلهِ قَـــوْمٌ كُلَّمَـــا جِئْتُ زَائِـــراً وَجَـــدتُ نُفُـوسـاً كُلَّهَـا مُلِئـتْ حِلْمَـا

إِذَا اجْتَمَعُوا جَاؤُوا بِكُلِّ فَضِيلَـــةٍ ويَزْدادُ بَعْضُ الْقومِ مِنْ بَعْضِهِمْ عِلْمَـا

[1] المرجع السابق، ص: 38.

[2] المرجع نفسه، ص: 86.

أُولئَكَ مِثْـلُ الطِّيبِ كُلٌّ لَهُ شَـذَا و مَجمُوعُـهُ يَـزْدَادُ أَرَجًـا إِذَا شُمَّـا[1]

1-3 في المراسلات:

كان لأبي الفضل علاقات حميمة وطيبة تجمعه بأهل العلم والأدب إضافة إلى تواصله الدائم مع الحكام والزعماء، لذلك وجدت له أشعار كثيرة في هذا الباب وهذا ما أكد عليه ولده عبد الله قائلا« فأكثر شعره إنما كان في مذاكرة الأدباء ومراسلة الشعراء والعلماء»[2] ومن هاته الرسائل ما كتبه إلى أبي الطاهر يقول له فيها:

أبا الطاهرِ خُذْها على البُعْدِ والنّـوَى تَحيَّـةَ مُشْتـاقٍ لذكْـراكَ شيُـقِ

طَـوىَ لك بيـن الضُّلُـوعِ مَـودَّةً تشفَّ صفـاءً كالـزَّلال المُـروَّقِ

يُناجِيكَ بالذِّكْـرىَ فيشْفِـى غليلَـهُ ويُخلِصُ بالودْ الصَّحيحِ و يلْتقِـي[3]

1-4 في الإخوانيات:

هي أشعار تجسد العلاقات الاجتماعية بين الناس من عتاب أو اعتذار أو تهنئة أو تعزية وغيرها من التعاملات الاجتماعية المتداولة بين الناس، فهذا أبا الفضل يعتذر عن عرض عرض له قائلا في هاته الأبيات:

عسَى تعرفُ العَلياءُ ذنْبِي إلى الدَّهْرِ فأُبدي لها جهْدَ اعترافي أو عُذْري

قدْ حالَ ما بيْنِـي وبيـنَ أحبَّـة ألفْتُهُمُو إلْفَ الخَمـائِلِ للقطْـرِ

---

[1] المرجع السابق، ص: 72.

[2] أبو عبد الله : التعريف بالقاضي عياض، ص: 101 .

[3] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 74.

هُمُو أودعُـوا قلْبِي تبـاريحَ لـوْعَـة فنأيُهُمُو أذْكَى وأنْكَى مِنَ الجَمْـرِ[1]

1-5 في الشكوى:

وجد الشعراء في الشكوى متنفسا وتعبيرا يعكس ما شهدته الأندلس في تلك الفترة من تغيرات في تصرفات وسلوكيات بعض الناس فهذا القاضي عياض يشكو تقلب الزمان والأصحاب معا فيقول:

أترانِـي ؟ ومـا عسـى أنْ تـرانِـي آخـذاُ مـرَّةُ أمـانَ الزَّمـانِ

سلبَتْنِـي صروفُـهُ كـلَّ عِلَّـقٍ مـنْ شبابٍ وصـاحِبٍ وأمـانِ

كُلَّمـا حُـزْتُ بُغيَتِـي بفُـلاَنٍ علقـت كفـه بـذاك الفُـلاَنِ

عمْـرَكَ اللهَ هـل سمعـت بحـيَّ لـمْ ترُعهُـمْ روائِـعُ الحَدَثَـانِ[2]

1-6 في الوادع:

لم يبق أمام القاضي عياض إلا العودة إلى بلده بعد رحلته العلمية الطويلة لبلاد الأندلس واجتماعه مع من تسنى له من أهل علمها آخذا ما تيسر له عنهم، ففي اللحظات التي عزم فيها الرحيل عز عليه موادعة وفراق قرطبة وأهلها فأنشد قائلا:

أقُولُ وقَدْ جَـدَّ ارْتِحالِـي وغـرَّدَتْ حُداتِي وزُمَّتْ للفِـراقِ ركائِبِـي

وقدْ غَمصتْ مِنْ كَثْرةِ الدَّمْعِ مُقْلَتِي وصارَتْ هـواءُ مِنْ فُؤادِي ترائِبِـي

لـمْ تَبْـق إلاَّ وَقْفـةٌ يسْتَحِثُّهـا وداعِي للأَحْبـابِ لا للحَبَـائِبِ

---

[1] المرجع السابق، ص: 68.

[2] المرجع نفسه، ص: 98.

رَعَــى اللهُ جِيرانَا بقُرطُبـــةَ العَـــلاَ وسَقّى رُبَاهَا بالعِهادِ السَّواكِبِ[1]

ومن قوله أيضا مودعا أصدقائه:

لكَ الخَيْـرُ عنْدي لــذاَك النُـــزَاعْ فَعَقّـــلٌ يَهِيـــمُ وقَلْبٌ يُـــــراعْ

يعزُّ علَيْنـــا تنائِـــي الدَّيَـــارْ وذاكَ سلامُـكَ لـــي والـــوَدَاعْ

لَكَمْ أملٍ كـانَ لَـي فِـــي اللَّقَـــاءْ وأُمْنِية قَـــدْ طــواهَا الزَمـــاعْ[2]

1-7 في الشوق و الحنين:

بقرار سياسي تولي القاضي عياض قضاء بلد داي وذلك بهدف إبعاده عن الجو المتوتر السائد في تلك الفترة فشكل هذا البعد عنده حزنا كبيرا وشوقا وحنين لدياره فأنشد معبرا عن هذا قائلا:

أقُمْرِيَّـــةَ الأدْواحِ باللهِ طـارِحِـــي أخَـا شَجَنٍ بالنَّـوْحِ أَوْ بغِنـــاءِ

فقَـــدْ ارَّقَتْنِـــي مِنْ هدِيـــلكِ رَنَّـــةٌ تُهيَّجُ مِنْ بَرْحِـــي ومِنْ بُرحائِـــي

لعلَّكَ مِثْلِـــي يا حَمـــامُ فإنِّـــي غرِيبٌ بـداي قَـــدْ بُلِيتُ بـــدَاءِ

فكَمْ من فَلاةٍ بيْنَ دَايٍ و سبَّتَـــةٍ وخـرْقٍ بَعِيدِ الخافِقَيْنِ قِـــواَءِ[3]

1-8 في السفر:

عرف عن أبي الفضل أنه ممن لا يحبذون السفر أو كثرة الترحال فكان له في ذلك وجهة نظر خاصة حوله وما يجلبه السفر من مضار ومتاعب لصاحبه فيقول في هذا:

---

[1] المرجع السابق، ص:41.

[2] المرجع نفسه، ص: 72.

[3] المرجع نفسه، ص: 39.

تقاعَدْ عنِ الأسْفَارِ إنْ كنْتَ طالبـاً نَجاةً ففـي الأسْفَارِ سبــعُ عــوائقِ

تشُوقُ إخــوانٍ، وفقْــدُ أحِبَّــةٍ وأعظَمُها، يا صاح، سكنَى الفنــادِقِ

وكثرَةُ إيحــاشٍ وقلَّــةُ مــــؤنسٍ وتبذيُر أمــوالٍ، وخِيفــة ســارِقِ[1]

1-9 في النصح و الإرشاد:

كان أبا الفضل يكن محبة خاصة لطلاب العلم ويشجع كل من لمس منه سعيا واجتهادا فيه فكان له في هذا الباب نصيحة موجهة لكل طالب يقول فيها:

يا طالِبَ العِلْمِ اسْتَمِـعْ قَوْلَ امْــرِئٍ مَحَّضِ النَّصيحَــةِ للْمُرِيدِ الــرَّاغِبِ

العِلْــمُ فِي أَصْلَيْـنِ لا يَعْدُـوهُمَــا إلاَّ المُضِلُّ عــن الطَّريــقِ للأحِــبِ

عِلْمُ الكِتابِ وعِلْمُ الآثَــارِ الَّتِــي قَدْ أُسْنِدَتْ عنْ تابِعٍ عــنْ صــاحِبِ

جَاءَتْ بِهَا الأَثْبَاتُ مِنْهُــمْ واعْتَنَتْ بِمَسَــانِدٍ ومراسِــلٍ وغَــرَائِبِ[2]

1-10 في العلم:

القاضي عياض محب للعلم شغوفا به ملازما لأهله دائم البحث والتمحيص في دواليبه فهو يشغل حيزا كبيرا من وقته إن لم نقل كل وقته فيقول عن نفسه في طلب العلم:

لَمِحْبَــرةٌ تُجــالِسُنِــي نهــارًا أَحَـبُّ إِلـيَّ مِنْ أُنْــسِ الصَّدِيــقِ !

ورُزْمَةُ كــاغِدٍ فــي البيْتِ عنَّــدِي أَحَبُّ إِلَيَّ من حمَّــلِ الدَّقِيــقِ !

---

[1] المرجع السابق، ص: 75.

[2] المرجع نفسه، ص: 43.

ولَطُمَـةُ عـالِمٍ فِـي الخَـدِّ منِّـي أَحَبُّ إِلَـيَّ مِنْ كَـأْسِ الرَّحيـقِ ![1]

1-11 في التورية:

كأن كانُـونَ أهْدَى مـن ملابِسِـهِ لشَهْرِ تُمـوزَ أنوعـاً مِنَ الـحُلَلِ

أو الغزالَةُ من طُولِ المدَى خـرِقَتْ فمـا تُفرَقُ بين الجَـدْيِ والحَمَـلِ ! [2]

رغم أنه ما تبقى إلا القليل من شعر القاضي عياض فجل ما وصل منه كان دليل على أنه كان له إسهامات قيمة في أغراض ومواضيع متنوعة أبرز من خلالها موهبته الشعرية وقدرته الكبيرة في التحكم فيه.

2- مضامين الشعر الديني عند عياض:

القاضي عياض كما هو معروف ليس شاعر بالدرجة الأولى، فهو أحد الفقهاء وإمام من أئمة المذهب المالكي في عهد المرابطين، فقد أشتهر بزهده وورعه في الحياة فكان لهذا التوجه أثر واضح على أغلب قصائده، حيث تميز شعره بمسحة دينية جلية تجسدت أكثر في مدحه للرسول صلى عليه وسلم والتوسل به وطلب شفاعته، فمثل هذا الأخير الجزء الأكبر والأطول من مجموع قصائده المتنوعة فيقول حسن جلاب مشيرا إلى هذا « وشعر عياض متنوع الأغراض إلا أن أغلب قصائده وطوالها جاءت في مدح الرسول والتوسل به»[3] ومن المضامين الدينية التي خاض فيها أبو الفضل أذكر في ما يلي:

---

[1] المرجع السابق، ص: 76.

[2] المرجع نفسه، ص: 91.

[3] حسن جلاب: الآثار الأدبية الصوفية مراكش، ج:2المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ط:1، 1994، ص: 9.

2-1 في التوبة:

يتوجه القاضي أبا الفضل إلى الله مقرا بذنبه نادما عليه خائفا من عقاب الله عز وجل راجيا منه العفو والمغفرة فيقول في هذه الأبيات:

إليْـــك بُـــوْتُ بِـــذَنْبٍـــــي فَاغفِـــرْ خَطَـايَـــايَ ربَّـــــي

وامنُـــــنْ علـــــيَّ بِلُطـــــفٍ تَجْبُـــــرْ بِهِ صـــــدْعَ قَلْبـــــيِ

فَقَـــدْ رَكِبْـتُ ذُنُـــــوبـــــاً سَـــــودتُ منهـــنَّ كُتْبِـــــي

وطـــــالَ تقْصِيـــرُ سَعْيِـــــي في كـــــلِّ فـــــرضٍ ونـــــدْبِ

وقَـــدْ أَســـــأتُ فَأَحْسِـــــنْ فلَـــمْ تـــزَلْ مُحْسنـــــاً بِـــــي[1]

2-2 في الدعـــاء:

الدعاء من أسمى العبادات التي دعى الله تعالى عباده للمواظبة عليه وهذا لما فيه من أجر ودفع البلاء عن صاحبه فيقول القاضي عياض في هذا الباب:

أعُوذُ برَبـيِّ مِـــنْ شَـــرِّ مَـــا يُخـــافُ مِـنَ النَّـاسِ والجنَّـــــةِ

وأَسْألُـــهُ رَحْمَـــةً تَقْتَضِـــي عـــــوارِفَ تُوصَـــلُ بالجَنَّـــــةِ

فمَا لِلْخَلاَئِـــقِ عَـــنْ نـــارِهِ سوِىَ فَضْلِ رُحْمـــاهُ مِنْ الجَنَّـــةِ[2]

[1] محمد عيناق، ديوان القاضي عياض، ص: 40.

[2] المرجع نفسه، ص: 45.

2-3 في المـوعظة:

الوعظ من الأبواب الدينية التي طرقها أبا الفضل لما فيها من توجيه وتنبيه من غفلة فيقول في هذه الأبيات مشيرا فيها إلى صعوبة مسالك جنات النعيم لمن قصد الوصول إليها:

لإِثْيانِ مـالٍ مـــالَ كُلٌّ مُؤَمِّـــلِ لكنَّهـــا سبْلُ صِعـابُ المســـالِكِ

كذِلكَ جنَّـــات النَّعِـيمِ ودُونَهَـــا صِراطٌ و كَمْ ناجٍ هنـــاكَ و هـــالِكِ[1]

2-4 في منجاة الله عز وجل و التوكل عليه:

يلجأ الشاعر في هذه الأبيات إلى الله عز وجل خاضعا متذللا له طامعا في رحمته راجيا منه إجابة دعوته وتفريج همه وكشف غمه متوكلا عليه في كل أموره ومقاصده فيقول :

إلَيْكَ مدَدَّتُ الكفَّ أستمْطِرُ الفَضْلاَ وأستكشفُ البلْوى وأستعطفُ الطَـوْلاَ

دَعوتُكَ مضطـراً فعجِّـــلْ إِيجابَتِـــي بتفريجِ كَرْبٍ طالمـــا وَصَلَ الهـــوْلاَ

علَيْكَ اعْتمادِي في جميعِ مقاصِدِي إليكَ رفعتُ الأمرَ والقـوْلَ والفِعْـــلاَ

وأنْتَ مـــلاذِي يا مُرادي وسيِّـــدي فسامِحْ مُسيئاً قد جنى الجِدَّ والهـزْلاَ[2]

ويقول أيضا مناجيا متضرعا لله مستغفرا عن ذنوب أثقلت كاهله راجيا لطفه ورحمته وعفوه عنه آمنا من عقابه:

يـــا ربْ يـــا اللهُ يـــا سيِّـــــدي و يا عليـــمَ الـــغَيْب مُسْتتـــــــرُ

إنْ لمْ تُـــدارِكْنِـــــي بِلُطْفٍ فَيـــا خُسْـــرِي ويـــا خيْبَـــةَ مَنْ يَخْسَـــرُ

---

[1] المرجع السابق، ص:79.

[2] المرجع نفسه، ص:87.

فَلِـــي ذُنُـــوبٌ أثْقلَتْ كـاهِلِـــي إنْ لمْ تَكُـنْ تَغْفِرْ مَـــنْ يَغْفـــرُ

يـا مُسْتَجيباْ دعْـــوةَ المُبْتلَـــى ودَعْـــوَة المُضْطـرَ اذْ يجْـــأرُ

فأنْتَ قُلْـتَ: اسْتغْفـرُوا ربْكُـــمْ وإنَّنـــي جِئْتُـــك اسْتغْفـــرُ[1]

2-5 في الشوق و الحنين لزيارة المدينة المنورة:

كان لعدم زيارة القاضي عياض لديار الحبيب المصطفى أثر كبير على نفسيته فهذا ما جعل منه كثير الشوق والحنين لرؤيتها متمنيا أن تطأ أقدامه يوما أراضيها، وهذا ما يصرح به في هاته الأبيات معبرا فيها عن لوعته ولهفته وشوقه للمدينة المنورة فيقول:

يَا دَارَ خَيْرِ المُرْسَليـنَ ومن بِـــهِ هُـدِيَ الأَنَـامُ وحُضَّ بالآيَـــاتِ

عنَّـــدِي لأجْلِكَ لوْعَةٌ وصَبَابـــةٌ وتَشَـــوُّقُ مُتوقّدُ الجمـــراتِ

وعلي عهْدٌ إنْ مَلـأْتُ محَاجـــرِي مِنْ تِلْكُمُ الجُـــدْرانِ والعَرصَـــاتِ

لَأعفَّـــرَنْ مصُـــونَ شَيْبِي بَيْنَهَـــا مِنْ كَثَّـــرةِ التَّقْبِيـلِ والرَّشفَـــاتِ[2]

2-6 في مدح الرسول:

كان لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم النصيب الأكبر من نظم أبا الفضل فقد أشاد بعظمته في كم من موضع وبمكانته المرموقة بين الأنبياء معبرا عن أشواقه الدائمة له ولزيارته فيقول مادحا إياه في هذه الأبيات:

هذا الـذي وَخَدَتْ شوقاً له الإبِـــلُ هذا الحبيبُ الذي ما منْهُ لي بدَلُ

هذا الذي ما رأَتْ عَيْنُ ولا سَمـِعَتْ أُذْنٌ بأكرَمَ مـــن كَفيْهِ إن سألُـــوا

[1] المرجع السابق، ص: 52.

[2] المرجع نفسه: ص: 44.

هذا الذي جـــاءَتِ التَّوْراةُ شاهِـــدَة بِأنَّهُ خيْرُ من يحْفَـــى وينْتَعـــلُ

هذا الذي جاءَ في الإنْجِيلِ مَبْعَثُـــهُ يتْلُوهُ من قبـــل ذا رُهْبَانـــهُ الأُولُ[1]

ويواصل مشيدا مفتخرا بنسب الرسول صلى عليه وسلم معظما لشأنه وشأن قبيلته مبرزا لمكانتها بين القبائل العربية:

هـذا الـذي فـي قُرَيْشٍ سَمـا نَسَبـاْ أباً، وأمـاً، فمعنـى المجْدِ مُكتَمِـلْ

هـذا الذي مجـدُهُ من عهْـدِ آدم لمْ يشنْهُ شيْـنٌ ولا فـي أصلِـهِ دَخَـلْ

هـذا الذي كـرُمَتْ آبـــاؤُهُ وعـلَتْ عن السَّفاحِ فنَظْمُ الـــمجْدِ مُتَّصِـلْ[2]

ويتابع مسترسلا في مدح النبي الكريم معددا لفضائله على الأمة جمعا ومنها تلك التي سجلها لنا التاريخ وهي هزيمته لكسرى ملك الفرس والقضاء على جبروته وطغيانه وكسر شوكته في المنطقة فيقول:

هـذا الذي خَمدتْ نِيرانُ فـارسٍ مِنْ أنْـوارِه، وولاَةُ النـاس ما غفلـوا

هَـذا الذي كسَـرتْ كِسـرى مهابتـهُ حتـى تَبينُ فـــي إيوائـهُ الميـلُ[3]

ويقول أيضا مفتخرا بالمقام النبوي:

يـا عَيـــنُ هـذا السَيَّـدُ الأكْبَـــرُ وهَـذِهِ الرَّوضْـــةُ والمِنْيـــــرُ

فشـاهِـدي فـي حَرَمِ المُصْطفـــى من نـورِهِ السَّـاطِعِ ما يَبَّهـــرُ

يـا عيْـنُ، ذا مـا كُنْتِ تَبْغِينَـــهُ فمَـا لأجْفَـــانِكِ لا تُمْطـــــرُ

---

[1] المرجع السابق، ص: 80.

[2] المرجع نفسه، ص: 81.

[3] المرجع نفسه، ص: 84.

هــذَا مَقَــامُ المُجْتبــى أحْمــــدٌ فمِثْلــهُ الأَعْيُــنُ لا تنْظُـــــرُ[1]

2-7 في التوسل والشفاعة برسول الله:

جعل القاضي عياض من شخص الرسول الكريم واسطة تقرب بينه وبين الله عز وجل فكان دائم التوسل به طالبا شفاعته ليغفر الله له ويستجيب لدعواته على نحو ما جاء في هذه الأبيات سائلا فيها الله تعالى بجاه نبيه أن يفرج همومه ويزيل غمه فيقول:

سَألتُكَ بالمُختَارِ

بجاهِ رسول اللهِ فارحم تَضَرُّعِـي ونَفِّسْ همومِـــي كلَّها: الفرعَ و الأصْلاَ

لجأْتُ إلــى بابِ الكــريمِ لِفَاقَتِـــي فليسَ لنا مُغْــنٍ سِــواه ولا مولـــىَ[2]

يخاف أبا الفضل ذنوبا أثقلت كاهله متحسبا لذلك اليوم العصيب الذي تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فيقول في هاته الأبيات مستشفعا بالرسول عليه الصلاة و السلام:

قَدْ أَثْقَلَتْنِــي ذُنُــوب عنْكَ مُؤْلِمَـــــةٌ أَخَافُ تُحْرِقُنِي مِنْ أَجَّلِهَا النَّـــارُ

يَا خِيرةَ الرسْولِ يا أَغْلَي الورَى شرفاً قَدْ أَثْقَلَ الظَهْـــرَ آثَـــامٌ و أَوْزارُ

فَكُنْ شَفِيعِي لمَا قَدَّمْتُ مِنْ زَلَـــــلٍ ومِنْ خَطَايَــا فإنَّ الرَّبَّ غَفَّـــــارُ[3]

ويقول أيضا متوسلا بالنبي الكريم أن يأخذ بيده آمنا به من النقم:

يا سيِّدي يا رســولَ اللهِ خُذْ بيــدي فالعَبْدُ ضيف، وضيْفُ الله لمْ يُضَـمِ

يا سيَّدي يا رسولَ الله خـذ بِيــدِي يــا مَنْ لقاصدهِ أمْــنٌ مِــنْ النِّقــمِ

---

[1] المرجع السابق، ص: 50.

[2] المرجع نفسه، ص: 88.

[3] المرجع نفسه، ص: 55.

يا سيِّد الرسْولِ يا من ضيَّفُ ساحَتِهِ يبيتُ فيِ الأمْنِ، في خيرٍ و في نِعَمِ[1]

ويقول مبينا عن عجزه وضعف قدرته أمام قدرة الله عز وجل فيتوسل إلى الله بنبيه المصطفى سائلا الشفاء مستشفعا مسترحما مستجيرا به فيقول:

قَدْ عَجَزَتْ عَنْ طَبِّهِ قُدْرَتِي رَفَعْتُ شكْواي لمَنْ يقْدِرْ

قَدْ توسَّلْتُ إلى اللهِ فِي شِفاء داءٍ بِكَ يا مُنْذَرُ

فاشْفعْ فإنِّي بك مُسْتَشْفعٌ وأنْصُرْ فإنِّي بِكَ مُسْتَنْصرُ

وارْحَمْ فإنِّي بِكَ مُسْتَرْحمٌ وأجْبُرْ فإنِّي بِكَ مُسْتَجْبرُ[2]

2-8 في مدح الأماكن المقدسة:

ارتبط مدح الرسول في كثير من الأحيان بالأماكن المقدسة لما لها من علاقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم فكان في مكة مولده و نشأته وأول نزول الوحي فيها وكانت له في المدينة المنورة بقية حياته ومنبرا لدعوته الإسلامية ونشرها في مشارق الأرض ومغاربها فشكل الشوق والحنين لزيارتها هاجسا لذى الكثير خاصة لمن لم تتسنى له زيارتها على نحو أبا الفضل فيقول في الحرم المكي مادحا واصفا له في هذه الأبيات بعدما اشتد به الشوق والحنين لزيارته وكثر تلهفه وولعه لرؤيته فيصور لنا حاله كأنه متواجد بربوعه:

تجَمَع الفضْلُ بِهَا والنَّدَى والجُودُ والسُّؤدُ والمَتْجرُ

إلى ثراهَا الزَّعْفَرانُ انْتمَى مِنْ شَذَاهَا المِسْكُ والعَنْبَرُ

قَدْ حسَدتْها سِدَّرةُ المُنْتهَى لمَا حَوَتْ والفُلْكُ والأنْوارُ

---

[1] المرجع السابق، ص: 93.

[2] المرجع نفسه، ص: 51-52.

والكعْبـــةُ الغَـــرَاءُ والمُنْحَنَـــــى والحَجْـرُ، والأسْتـــارُ، والمشْعـــــرُ

فاسْتبْشـــرِي يـــا مُقْلتِـــي باللِّقـــا فَمـــنْ رأى الأحْبـــابَ يسْتبْشـــــرُ

قَـدْ ذهـب الهَـــمَّ و زَالَ العنَـــا و كلَّ ما يُخْشـــى و ما يُحْـــــذرُ[1]

تنوعت المواضيع الدينية التي تناولها القاضي عياض إلا أن أغلبها كان في مدح الرسول صلى عليه وسلم والتشوق إليه فكان في مدحه له تخليدا لسيرته الطيبة وتنفيسا منه عن حصرته الناجمة عن عدم زيارته له في البقاع المقدسة فتولد عنده شعور دائم بالشوق والحنين إلى رسول الله والأماكن المقدسة على حد سوى.

3- التشكيل الفني في شعر عياض

اللغة بتعدد أدواتها هي وسيلة تواصل بين الأفراد لبلوغ المقصود وتحقيق المنشود، لذا سيكون التركيز في هذه النقطة من نقاط البحث على دراسة اللغة في شعر القاضي عياض وما تحمله من جماليات فنية وسمات دينية عكس فيها أبا الفضل تجربته الشعرية، بالاستعانة ببعض ما تقدم به الدكتور حسن جلاب من دراسة فنية للمديح الديني عند عياض وذلك في كتابه الموسوم " الآثار الأدبية لصوفية مراكش".

3-1 الألفاظ:

إذا كانت اللغة وسيلة للتواصل فإن الألفاظ أداة لتجسيد هذا التواصل، فبواسطتها يستطيع الشاعر أن يترجم أحاسيسه ومشاعره ويعبر عن مكنونات صدره، لذلك ركز الشعراء على

[1] المرجع السابق، ص: 50.

انتقاء ألفاظهم بعناية لإيصال المعنى بمفهومه الصحيح للمتلقي، كما يقول عبد القادر الجرجاني موضحا هذه النقطة « أعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى».[1] فكان القاضي عياض حريصا على هذا الجانب في لغة شعره فأجاد اختيار ألفاظه بدقة وإحكام ليصل بها إلى المراد، وأكثر ما تميزت به الألفاظ عنده:

أ- السهولة و الوضوح:

امتازت ألفاظ شعر عياض بتعبير صادق وعميق يعكس تجربته الذاتية التي تظهر جلية في معظم أشعاره، هذه الذاتية التي خلقت نوع من التجاوب مع القارئ في فهم مضمون الرسالة والاندماج معها، فالألفاظ في عمومها بسيطة وسهلة بعيدة عن كل إيحاء أو تضمين خالية من الغرابة والتعقيد، فأدى هذا حتما إلى بساطة في المعنى وقرب في الفكرة عند المتلقي، ولتوضيح هذا أكثر سأسوق بعض الأمثلة على هذا ومنها قوله:

وجِئْـــتُ أطلـــبُ تـــوبـــــــاً إذْ ضـــاقَ بـــالـــذَّنْبِ رحْبِـــــى

فَاقْبَـــــلَ بِفَضْـــلِكَ تَـوْبِـــي وأغْفِـــرْ بِـــرُحْمَـــاكَ ذَنْبِـــي[2]

جاءت ألفاظ هذه المقطوعة سهلة مستساغة واضحة المعنى لا تعقيد فيها نحو (ضاق، رحْبى، الذنب، أغفر، رحماك)، فهي ألفاظ مألوفة متداولة بين العامة مشحونة بمظهر إيماني جلي تمثل في طلب التوبة والغفران والرحمة.

ومن الألفاظ السهلة والمؤدية للمعنى قوله أيضا:

---

[1] عبد القادر الجرجاني: الرسالة الشافية، تح: محمد شاكر، مكتبة الخناجي، القاهرة، د.ط، 1984، ص:575.

[2] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 40.

نداءُ من الأعمْاقِ يا فالِقَ النـــوى ويا سامعَ النَّجوَى ويا مَنْ هو الأعْلَـى

يَتيِمٌ مِنْ الطَاعَاتِ عَفْوكَ يُرْتَجِـــي قِهِ الفَقْرَ، والإفْلاسَ، والفَقـدَ والــذُّلاَ[1]

ألفاظ استطاع من خلالها الشاعر أن يجسد فيها مناجاته وتضرعه إلى الله عز وجل مثل (الأعماق، النوى، النجوى، يرتجى، عفوك، الإفلاس)، ألفاظ سهلة وسلسة عبرت في جميعها عن المعنى المقصود، عاكسة الحالة الشعورية للشاعر وهو يعيش بين خوف ورجاء.

هكذا تجسدت الألفاظ في شعر القاضي عياض في عمومه وهذه سمة عرفت عند أغلب شعراء ذوي النزعة الدينية؛ لأن الخطاب في هذه الأشعار موجه لعامة الناس قصد تبسيط المفهوم و التأثير في النفوس.

ب – التكـــرار:

التكرار ظاهرة برزت في الشعر العربي مند القديم وهو خاصية تميز بها العرب في كلامهم فيقول ابن فارس عنه بأنه « سنن العرب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر».[2] فالعناية بالشيء هي الدافع الأول للتكرار بهدف التأكيد عليه لبلوغ المقصد وتقوية المعنى عند المتلقي، إلا أنه قد يخرج لأغراض أخرى بحسب الحاجة إليه يختلف تأثير التكرار في الشعر بحسب ورده فيه فقد يكون تأثيرا إيجابيا أو سلبيا كما يقول

[1] المرجع السابق: ص: 87.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط:1،1993، ص: 213.

ابن الرشيق « فإن التكرار في الشعر قد يحسن في مواضع و يقبح في مواضع أخرى».[1]

للتكرار أشكال متعددة نحو تكرار حرف أو تكرار كلمة أو تكرار عبارة وغيرها من التكرارات وقد جاء الشعر الديني محمل بهذه الظاهرة لما يحمله التكرار من دلالات وأبعاد للمعاني المراد ترسيخها أو لفت إنتباه المتلقي إليها، كان القاضي عياض ممن برز التكرار في أشعارهم، فأغلب الوارد عنده جاء للتأكيد على حبه للرسول صلى عليه وسلم والتوسل به وطلب شفاعته، فتمحورت هذه الظاهرة عنده بخاصة في الحروف والكلمات ومن ذلك سأعرض لبعض النماذج منه.

- **تكرار الحروف:**

تكرار الحروف من وسائل التكرارات البسيطة التي يستعملها الشاعر للإحالة لحالته الشعورية والنفسية، فقد برز تكرار بعض الحروف في شعر عياض لإبانة مقاصد ومعاني معينة ومن أمثلة ذلك قوله:

بُشْـراكَ قَلبِـي هَـذا سيَّـدُ الأُمَـمِ وهَذهِ حَضْرَةُ المُختارِ فِي الحَـرَمِ[2]

تحقق في هذا البيت تكرار(الراء) في الألفاظ (بشراك، حضرة، مختار، الحرم) لدلالة على حبه الكبير للرسول والتعظيم من شأنه والفخر به وتبيين علو مكانته بين الأمم.

كما يتجلى هذا أيضا في قوله:

يَـا رَبْ يَـا اللهُ يَـا سَيِّـدِي ويَـا عَلِيـمَ الـغَيْبَ مُسْتَتِـرُ[3]

---

[1] ابن الرشيق القيرواني أبو علي حسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج:2، دار الجيل للنشر والتوزيع و الطباعة، بيروت، لبنان، ط:1، 1972 ص: 23.

[2] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 93 .

[3] المرجع نفسه، ص: 52.

كرر الشاعر حرف النداء (يا) في الكلمات(يا رب، يا الله، يا سيدي، يا عليم) كان الغرض من هذا التكرار هو الإلحاح والإسرار والرجاء والتوسل لله عز وجل بكثير من التدلل والخضوع له.

ومنه قوله أيضا:

وقَــدْ أسَـــــأْتُ فَـأحْسِـــــــنْ فَلَـــمْ تَـــزَلْ مُحْسنـــاً بِـــــي[1]

نلاحظ تكرر حرف (السين) في الكلمات(أسأت، أحسن، محسننا) وهذا التكرار فيه كثير من الاعتراف بالذنب مع حسن الظن بالله والثقة الكبيرة في عفوه عنه الإحسان به، كما اقترن تكرار حرف (السين) مع حرف المد (أ) في نفس الكلمات وفي هذا يعبر الشاعر عن آهاته المتولدة عن الندم على ما ارتكبه من ذنب في حق المولى تعالى.

- **تكرار الكلمات:**

الكلمات من العناصر الأساسية التي يعتمد عليها النص في بنائه لما تحمله من دلالات خاصة تترجم الجو العام للنص، لذلك برز تكرار الكلمات كظاهرة معينة عند بعض الشعراء لتأكيد أو ترسيخ معنى معين عند المتلقي، فكان تكرار الكلمات بارزا في شعر عياض فلا تكاد قصيده تخلو من هذه الظاهرة، وقد يجيء تكرار الكلمات بأوجه متعددة لغايات مختلفة وما كان أكثر بروزا في شعر القاضي عياض هو:

* **تكرار التأكيد:** وهو يمثل الهدف الأول من التكرار خاصة عند شعراء النزعة الدينة لما يسعون إليه من ترسيخ وتثبيت لقيم دينية عند المتلقي، وما جاء عند عياض كان تأكيدا وتذكيرا بسيرة رسول صلى عليه وسلم وحبه الكبير له على نحو ما جاء في هذه الأبيات:

[1] المرجع السابق، ص: 40.

يَـا عَيْـنُ ذَا مَـا كُنْتِ تَبْغِينَـــــهُ فَمَـــا لأَجْفَـانِكِ لا تُمْطـــــــرُ

هَـــذا مَقَـامُ المُجْتَبَـــى أحْمَـــــدٌ فَمِثْلُـــهُ الأَعْيُـــنُ لا تَنْظُـــــــرُ[1]

هذا المقطع الشعري تكررت فيه كلمة (العين) وفي هذا إشارة من الشاعر إلى ما يكنه من حب كبير وصادق لرسول الله، عاكسا فيه ما يختلج صدره من مشاعر تواقة ومتلهفة لزيارة رسول الله صلى عليه وسلم.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله:

يـــا مُسْتَجيبـــاً دَعْـــوةَ المُبْتلَـــــى ودَعْـــوةَ المُضَّطـــرَ إذْ يَجْـــــأرُ

فـــأنْتَ قُلْـت: اسْتغْفـــرُوا رَبْكُـــــمْ وإنِّـــــي جئْتُـــكَ أسْتغْفُـــــــــرُ[2]

كرر الشاعر في هذه الأبيات كلمة (أستغفر) المصحوبة بكثير من الشكوى والتوسل إلى الله عز وجل في مغفرة ذنبه، وفي هذا تعبير عن حالة الشاعر النفسية وما يحمله من خوف داخلي كبير مسيطر عليه.

ومن قوله أيضا:

يَـا أحْمدُ، يا أبَا بَكـــر ويـــا عمـــرٌ نَزِيْلُكُـــمْ فِـــي أمَـــان غَيْر مُنْهضـــمِ

وقَدْ سَعَيْتُ إلـــى أبَـــوابِ حُجرَتِكُـــمْ سَعْيَا عَلَى الرَأسِ لاَ سعيا علَى القَدَمِ[3]

---

[1] المرجع السابق، ص: 50.

[2] المرجع نفسه، ص: 52.

[3] المرجع نفسه، ص: 94.

تكررت في هذه الأبيات كلمة (سعي) فيها دلالة على الشوق الكبير لرسول الله وكل ما له صلة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وفرحة الشاعر وسروره عند رؤيته لأي ذكرى ترتبط بذكرى حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم.

* **تكرار المجاورة:** هو نوع من أنواع التكرارات المستعملة عند الشعراء بغية التأكيد على معنى معين عند القارئ فيكون في هذا تكرار للفظتان إلى جنب بعضهما أو قريبتان من بعض مع تحقيق الفائدة من ذلك، ومن هذا النوع من التكرار الذي ورد عند عياض ندرجه في الأمثلة التالية ومنها قوله في هذين البيتين:

بُشْـراكَ بُشْـراكَ قَدْ لاَحَتْ قِبابُهُـمْ فَأَنْزِلْ لقَدْ نِلْتَ مَا تَهْـوى وتَخْتَـارُ

هَذا المُحصَّبُ هَذا الخِيفُ خِيفُ منًى هَـذِي منازلُهُـمْ هَـذي هِي الـدّارُ[1]

تحققت المجاورة بالقرب في البيت الأول بكلمة (بشراك) وهي تعكس حالة شعورية مليئة بالبهجة والسرور بقدوم زوار بيت الله الحرام، وتحقق أيضا في البيت الثاني في كلمة (الخيف) فيه دلالة على أن الأمنية قد تحققت وأصبح الحلم واقعا لكل من كانت نفسه تواقة لزيارة رسول الله عليه السلام.

وكذلك نجد من أمثلة ذلك قوله:

ثَلاثةٌ ثلاثٍ فِـي الـوَرىَ عُرفُـوا بالعفوِ والفضلِ والوفـاء وللـذمِ

يا ربْ يا ربْ يَا مُولاَيْ عَبْـدُك فِـي بَابِ الرْجَا يُرْتَجى أمْنـاً مِنْ النَّقْـم[2]

---

[1] المرجع السابق، ص: 53

[2] المرجع نفسه، ص: 94.

نلاحظ التكرار بالمجاورة في البيت الأول في كلمة(ثلاثة) وفيه إشارة إلى رسول الله وصحبه الكرام وما يتحلون به من أخلاق فاضلة فهم في ذلك قدوة لنا، كما ورد تكرار كلمة(يارب) في البيت الثاني حيث تظهر مناجاة الشاعر وتوسله لله عز وجل يرجو آمنه خوفا من نقمته.

***- تكرار التصدير:** وهو ما يعرف برد العجز على الصدر، حيث ترد اللفظة في صدر البيت سوى كان ذلك في أوله وأوسطه أو آخره، ليكون وردوها ثانية في عجز البيت لكن يشترط أن تكون في آخره دون الاشتراط أن يكون لهما نفس المعنى ومن أمثلة ذلك قوله:

فأسْتَبْشــرِي يــا مُقْلتِــي با للَّقــا فَمــنْ رأى الأَحْبــابَ يسْتبْشــرُ[1]

نلاحظ تكرر كلمة (أستبشر) في صدر البيت ليعاد إدراجها ثانية في عجز البيت وهذا يصف شدة فرحه لنزوله في ديار الحبيب المصطفى أين تسنى له أن يجتمع بصحبة الأحباب التي طالما كانت حلمه.

ومن ذلك أيضا قوله:

هَذا الذِي عِندمَا سَــارتْ بِه جَفَلَتْ أَتَانـها تَسبِقُ الرُكبَانَ إنْ جَفَلُــوا[2]

ورد تكرار كلمة (جفلت) في آخر صدر البيت للتكرار ووجودها في أخر البيت وفي هذا إشارة إلى الخير الذي أنعم به الله على كل من له صلة برسوله الكريم أو كان في خدمته دلالة على المكانة التي كان يحضى بها النبي الكريم عند الله عز وجل.

---

[1] المرجع السابق، ص:51.

[2] المرجع نفسه، ص: 85.

التكرار من الأمور التي تجلب أحيانا الملل لنفس القارئ لكن وجوده ليس دائما سلبي لأن صدوره بهذه النصوص ارتبط بأهداف وغايات معينة كتقوية معنى أو ترسيخ فكرة عند المتلقي.

3-2 الاقتراب من لغة السرد:

امتازت أشعار القاضي عياض بلغة سردية تقريرية خاصة إذا ما تعلق الأمر بمدائحه النبوية، فجاءت عبارة عن سرد لحياة الرسول صلى عليه وسلم وتخليدا لسيرته ونشر لمبادئه يبدو أن لتكوين شخصية أبا الفضل علاقة بهذا فهو فقيه وعالم بالسيرة النبوية بالدرجة الأولى لذلك كانت غاية عياض في المديح هي نفسها غايته في الشفا هذا ما أشار إليه حسن جلاب قائلا:« كانت غاية عياض من مدحه النبوي كما كانت غايته في الشفا، الرفع من مقام النبوة ورد الاعتبار إليها في ظرف انتهكت فيه حرمتها...».[1] فهذه الغاية المنشودة عن عياض أدت إلى مجيئ شعره مفتقرا إلى كثير من التدفق الشعري، ومن الشواهد التي تؤكد هذه الظاهرة عنده قوله:

لكِنْ ســـأُهْدِي مِنْ جمِيـــلِ تَحيَّـــةً لِقَطِيـــنِ تِلْكَ الـــدَّارِ والحُجُـــراتِ

أَذْكَـى مِنَ المِسْـــكِ المُفتَّقِ نَفْحَـــةً تَغْشَـــاهُ بالآصَـــالِ والبُكُـــــراتِ[2]

لغة البيتين قريبة من السرد أكثر منها للشعر، فالفارق بينهما هو في استعمال الوزن والقافية، إضافة إلى خلوهما من الصورة الفنية التي ترتقي بالمستوى الشعري.

---

[1] حسن جلاب: الآثار الأدبية لصوفية مراكش، ج:2، ص: 60.

[2] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص:44.

وكذلك من قوله في مدح الرسول:

هَذا النَّبِيُّ الحِجَازِيُّ الـذِي شَهِـدَتْ لهُ بِتَقْدِيمِهِ فِـي الرَّسْـولِ أَخْبَـارُ

هَذا الحَبِيبُ الذِي أَسْرىَ لِخَالِقِـهِ لَيْلاً وقَدْ ضُـرِبَتْ باللَّيْـلِ أَسْتَـارُ[1]

الأبيات فيها سرد لسيرة الرسول صلى عليه وسلم تخلو من أي خيال شعري إضافة إلى عطف الأبيات على بعضها بعض مما جعل منها أقرب للسرد منها للشعر.

ومما تجسدت فيه لغة السرد قوله في هذه المقطوعة:

وممَّـا زَادَنِـي طَربـاً وتَيْهَـا وكِـدتُ بَأخْمَصِي أَطَـأُ الثُرَيَـا

دُخِـولِـي تَحْتَ قَـوْلِكَ يَا عِبَـادِي وأنْ صَيَّـرتَ أَحْمَـدَ لِـي نَبيَـا[2]

يصف القاضي عياض بهجته بأسلوب سردي تقريري يخلو من الخيال مع جود عطف للأبيات على بعضها البعض أبعد البيتين عن كل شاعرية.

يعود طغيان هذه الظاهرة في لغة عياض الشعرية كون شعره الديني في معظمه ارتبط بهدف محدد وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتعداد لمناقبه ونشر لسيرته الحميدة وذكر لأفضاله على الأمة جميعا.

3-3 التناص القرآني:

وهو ما يعرف بالاقتباس ويكون ذلك باستحضار لبعض النصوص القرآنية وتوظيفها داخل نص ليكسبه قوة وتأثيرا في نفس القارئ، وهذا النوع من التناص من أكثر الأشكال حضورا

[1] المرجع السابق، ص: 54

[2] المرجع نفسه، ص: 100.

في الشعر الديني في عمومه، فالقرآن الكريم كان أحد الروافد التي اعتمدها عياض في شعره فجاءت عنده بعض القصائد متضمنة لألفاظ من القرآن الكريم، ومن تجليات هذه الظاهرة في تجربة أبا الفضل الدينية نذكر أمثلة على ذلك ومنها قوله:

مَـنَ خَصَّـــهُ اللهُ تَعَالَـــى اسْمُـــهُ بِقَوْلِـــه فَاصْـــدعُ بِمَـــا تُـومـــرُ[1]

وفي هذا يظهر الشاعر متأثرا بقول الله عز وجل في سورة الحجر التي يقول فيها المولى عز وجل﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾. [2]

ومما جاء أيضا في هذا قوله:

يـــا مُسْتَجيبـــاً دعْـــوةَ المُبْتلَـــي ودَعْـــوةَ المضْطَـــرْ إذْ يجْـــــأرُ [3]

مفردات هذا البيت تحيلنا إلى عدة آيات قرآنية ومنها ما جاء في قوله تعالى من سورة النمل ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾[4] وكذلك قوله تعالى في سورة غافر﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [5]

ومما جاء متضمنا لألفاظ القرآن الكريم قوله:

فَسبحْ اسْمَ الذِي فِي الخَلْقِ شَفَّعـــهْ وهلْ أتَاكَ حَدِيثُ الحوْضِ إذْ نَـهَرهْ[6]

---

[1] المرجع السابق، ص: 51.

[2] الحجر: الآية: 94.

[3] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 52.

[4] النمل: الآية:62.

[5] غافر: الأية: 60.

[6] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 63.

استنبط الشاعر مفردات هذا البيت من قول الله تعالى ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى** ﴾[1] ومن المفردات القرآنية الواردة أيضا في شعر عياض قوله:

والكَافِرُونَ إذا جاءٌ الوَرىَ طُـرِدُوا عَـنْ حَوضِهِ فَلَقَدْ تَبَّتْ يَدَاْ الكَفَـرَهْ[2]

في هذا البيت مفردات تشير إلى سورة المسد والتي يقول فيها الله عز وجل ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[3].

إن لوجد الكثير من الألفاظ المستنبطة من القرآن الكريم في شعر القاضي عياض يدل على تأثره الكبير بكلام الله عز وجل وما يحمله في بعاد معانيه.

3-4 الحقل الدلالي:

جاء الحقل الدلالي في شعر القاضي عياض حافلا ومتنوعا وبألفاظ كثيرة حيث توحي كل لفظة وردت فيه بانتمائها لحقل دلالي معين، إلا أنني سأكتفي بالألفاظ الأكثر بروزا فمنها ما كان دالا على شوقه وحنينه لزيارة الحبيب المصطفى، ومنها ما كان ذكرا للأماكن المقدسة معبرا فيها عن لهفته الكبيرة لرؤية تلك الديار، ومنها ما أستخدم للتوسل إلى الله عز وجل والشفاعة بنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

أ- **الألفاظ الدالة على الشوق و الحنين:** كان القاضي عياض كثير الحب دائم الشوق والحنين لزيارة الرسول صلى عليه وسلم لذلك كانت له مقاطع من شعره عبر بها عن هذا منها قوله:

---

[1] الأعلى: الاية:1.

[2] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 65.

[3] المسد: الآية:1.

عنْـدِي لأجْلِكَ لَوْعَــةٌ وصَبابَــةٌ وتَشــوَّقٌ مُتــوقدُ الجَمَــراتِ[1]

وكذلك قوله:

هَذا الذي وَخَدَتْ شَـوقاً لَه الإبِـلُ هَـذا الحَبيبُ الذِي مَا مِنْــهُ لِي بَـدلُ[2]

و قوله أيضا:

إنْ لمْ تُعاينْ ثَراهُ العَيْنُ يَا أسَفِـي أوْ لــمْ تَــزُرْهُ فــإنَّ الشَّــــوْقَ زوَّارُ[3]

فالأبيات الثلاثة فيها بوح بحب رسوله والشوق إليه وتحصر كبير على عدم زيارة الشاعر لديار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب- الألفاظ الدالة على الأماكن المقدسة:

ورد ذكر الكثير من الأماكن المقدسة في شعر القاضي عياض لما فيها من ذكريات ترتبط بحياة الرسول صلى عليه وسلم وما تمثله من إرث إسلامي عظيم فهي فخر كل مسلم بالانتماء إليها، ومن الأماكن التي ورد ذكرها في أشعاره منها كقوله:

يَا هْلَ طِيبَةَ لِي فِي رَبْعِكُـمْ قَمَــرٌ بَرِّ عَطُــوفٌ لِفعْـلِ الخَيْــرِ أَمَــارَ[4]

وقوله أيضا:

هَــذِه الرَوضَــةُ الغــرَّاءُ طَاهــرَةً هَــذِه القُبَــة الخَضَــراء كالعَلَــــمِ

---

[1] محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، ص: 44.

[2] المرجع نفسه، ص:80.

[3] المرجع نفسه، ص:55.

[4] المرجع نفسه، ص: 55.

ومِنبُر المُصطَفى الهادِي وحُجَرتُهُ وصحْبُهُ، والبَقِيـــعُ دَائـــرٌ بِهـــمِ[1]

وقوله أيضا:

هَــذا مَقَـــامُ المُجْتَبـــى أحْمَـــدٌ فَمِثْلـــهُ الأَعْيُـــنُ لا تَنْظُـــــــرُ[2]

ويقول أيضا:

والكعْبَـــةُ الغَـــرَّاءُ و المُنْحَنَـــــى و الحَجْرُ، و الأسْتـــارُ، و المشْعَـــرُ[3]

ورد في هذه الأبيات ذكر لأسماء أماكن ورموز إسلامية نحو (طيبة، الكعبة، المنبر، المقام، الروضة وغيرها) كلها أسماء لها علاقة بحياة الرسول صلى عليه وسلم والشعائر الإسلامية.

ج – الألفاظ الدالة على التوسل و الشفاعة:

كان لألفاظ التوسل والشفاعة حضور قوي في شعر القاضي عياض ومن بين تجليتها في النصوص أذكر قوله متوسلا لله عز وجل:

وقَـدْ تـــوسَّلتُ إلِـــى اللهِ فِـــــي شفـــــاءِ داءِ بـِكَ يَـا مُنْـــــذرُ

فاشْفَـعْ فإنِّـــي بِـــكَ مُسْتشْفَـــعْ وانْصُـــرْ فإنِّـــي بِكَ مُسْتنْصـــرُ

وارْحَـــمْ فإنِّـــي بِـــكَ مُسْتَرْحِـــمٌ وأجْبـــرُ فإنِّـــي بِكَ مُسْتَجْبِـــــرُ

واعْطفْ علَى العبْد المُسِيء الـذِي أتَـــى لإحْسَـــانِكَ يسْتَمْطِـــــرُ[4]

---

[1] المرجع السابق، ص: 93.

[2] المرجع نفسه،:ص: 50.

[3] المرجع نفسه، ص: 50.

[4] المرجع نفسه، ص: 52 .

ويقول مستشفعا رسول الله لما أقدم عليه من ذنوب:

يا خَيرَةَ الرسُلِ يا أَعْلَى الورَى شَرَفاً قَـدْ أثْقَـلَ الظَهَّـــرَ آثَـــامُ وأوْزارُ

فَكُنْ شَفِيعِـي لِمَـا قَدَّمْتُ مِـنْ زَلَلٍ ومِـنْ خَطايَـا فـإنَّ الـرَّبَّ غَفَّـارُ[1]

وفي قوله متوسلا الله عز وجل أن يغفر له ويعفو عنه أيضا:

فاقْبَـــلْ بِفَضْـــلِكَ تُـوبِـــــي وأغْفِـــرْ بِرُحْمـــاكَ ذَنْبِـــــي

عـافِنِـــي وأعْـفُ عنِّـــــي فـــأنْتَ يـــا ربَّ حسْبِـــــي[2]

ويقول أيضا متوسلا طامعا في كرم الله عز وجل بأن يغفر له ويجبر قلبه:

فَقَـدْ أتَيْتُكُ أَرْجُـــو مِنْكَ مَكْرمَـــةً وأنْتَ أدرَى بِمـا فِي القَلْبِ مِنْ ألَمِ

والحَـالُ يُغْنِي عَنْ الشَّكوىَ إليكَ وقَدْ عَرَفْتَ حالِي، وإنْ لـمْ أحْكِهِ بِفَـمِ

فاشْفَعْ لعَبْدكَ وأجْبُـرْ قَلْبَـهُ فَلَكَـــمْ أودَىَ بِهِ الكَسْرُ مِمَا نَال مِنْ جَرَمِ[3]

خدمت جل الحقول التي اعتمدها الشاعر الغرض الذي قيلت فيه بصفة عامة والمواضيع بصفة خاصة فقد أحسن إلى حد كبير في اختيار الألفاظ التي استطاع من خلالها أن يعبر بها عن صدق مشاعره اتجاه رسول الله وأن يوصل من خلالها فكرته للقارئ التي يدور محورها حول كل ما ارتبط بالسيرة النبوية في عمومها.

---

[1] المرجع السابق ، ص: 55.

[2] المرجع نفسه، ص: 40.

[3] المرجع نفسه، ص: 93

الخاتمة

خاتمـــة:

من خلال دراستي لهذا الموضوع الموسوم "النزعة الدينية في شعر القضاة القاضي عياض أنموذجا " توصلت إلى مجموعة من النتائج أبرزها ما سيتم عرضه في النقاط التالية:

1-ظهور النزعة الدينية في الشعر الأندلسي جاء نتيجة لتأثره بموجة الشعر الديني في المشرق العربي.

2-ارتبط تصاعد موجة التوجه الديني في المجتمع الأندلسي في هاته الفترة نتيجة لماشهدته البلاد من اضطرابات داخلية وخارجية فقد فيها الفرد الأندلسي الكثير من الشعور بالأمان فوجد في هذا النزوع ملاذه ومتنفسه.

3- كان للعديد من القضاة دور إيجابي وذلك بالتصدي ومحاربة بعض المظاهر السلبية داخل المجتمع الأندلسي والحد من انتشارها، فجاءت الأشعار الدينية لهؤلاء القضاة الموهوبين محملة بكثير من النصح والإرشاد والتذكير بالموت ويوم الحساب بأسلوب يتراوح بين الترغيب تارة و الترهيب تارة أخرى.

4-الكتاب والسنة أحد أهم الروافد التي اعتمدها هؤلاء القضاة في أشعارهم فارتبطت في مجملها لفظا ومعنى بتعاليم الدين الاسلامي السامية.

5-كان لتكوين شخصية القضاة الديني والتنشئة الإسلامية الصحيحة دورا كبير في بروز هذه النزعة في شعر الكثير من القضاة.

6-أشعار هؤلاء القضاة لم تعكس المهنة بقدر ما عكست تكوينهم الشخصي فأغلب هؤلاء القضاة فقهاء لذلك كانت أشعارهم قريبة للنظم أكثر منها للشعر.

7-القاضي عياض قبل أن يكون قاضيا فهو إمام وأحد أعلام المذهب المالكي وما عرف عن أتباع هذا المذهب زهدهم في الحياة، لذلك كانت النزعة الدينية هي الطاغية في شعره مقارنة بما له من إسهامات في أغراض شعرية اخرى متنوعة.

8-معظم شعر القاضي عياض كان مقطوعات صغير باستثناء مدائحه النبوية وما امتازت به من طول نوع ما.

9-أغلب الشعر الديني عندي القاضي عياض كان في التوسل ومدح الرسول وطلب شفاعته مع التشوق الدائم لزيارته وزيارة ألاماكن المقدسة.

10- امتازت أشعار القاضي عياض بكثير من الذاتية ذات التعبير الصادق والعميق فاستعماله الكثير لضمير المتكلم داخل النص يترجم إحساسه الشخصي بالأشياء وفيه ما يقرب القارئ ويجعله يتجاوب مع مضمون رسالة الشاعر.

11- امتازت اللغة في شعر القاضي عياض الديني بالوضوح والبساطة والبعد عن التعقيد وهذا في العموم سمة كل الشعر الديني في تلك الفترة بهدف التأثير وبلوغ المراد من المقصود.

12- امتازت اللغة في شعره بكثير من التقرير والسردية لأن أغلبه كان في مدح الرسول راويا فيه السيرة النبوية.

13- استعماله الكثير لظاهرة التكرار بهدف التأكيد على فكرة أو معنى معين عند القارئ.

14- كان القاضي عياض ذو ثقافة قرآنية عالية نلمس هذا من خلال توظيفه للكثير من الألفاظ القرآن الكريم في شعره الديني.

في خاتمة هذا البحث أرجو أن أكون وفقت إلى توضيح ما قصدت إليه، وما توفيقي إلا بالله.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

* أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة سنن الترميدي، ج:4، د. ط، د. ت.

أولا: المصادر

1- أحمد بن محمد المقري:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج:4، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، 1986.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج:2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، 1987.

2- أحمد بن يحي الضبي: بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ج:1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ط:1، 1989.

3- أبو الحسن علي بن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج:1، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، 1997.

4- أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان: مطمح الأنفس و مسرح التأسس في ملح أهل الأندلس، تح: أحمد شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1983.

5- ابن فرحون: الديباج المذهب، ج:2، دار التراث العرب للطباعة القاهرة، د. ط، 1976.

6- أبو عبد الله محمد: التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط:2، 1982.

7- شهاب الدين بن المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض ج:1، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبى، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ط، د.ت.

8- صلاح الدين بن خليل الصفدي: الوافي بالوفيات، ج:15، تح: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار الاحياء التراث العربية، بيروت، لبنان، ط:1، 2000.

9-عياض بن موسى السبتي:

- الغنية، تح: ماهر زهير، دار الغرب الأسلامي، بيروت، لبنان، ط:1، 1999.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك،ج:8، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، د.ط، 1983.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج:2، ضبط محمد سلام هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1، 1997.

10- محمد بن محمد بن عبد المالك المراكشي: الذيل والتكملة، مج:1، تح إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط:1، 1012.

11- محمد عيناق: ديوان القاضي عياض، مراجعة: علي الصقلي، تقديم: حسن جلاب، مطبعة بني ازناسن، سلا، المغرب، ط:1، 2001.

ثانيا: المراجع:

1- إحسان عباس:

- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، ط:1، 1997.

- تاريخ الأدب الأندلسي عصر السيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط:2، 1969.

2- ابن تيمة: الزهد و الورع و العباد، تح: حمادة سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط:1، 1987.

3- إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب و الأندلس في عصر المرابيطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط:1، 1993.

4- الحسين محمد شواط: القاضي عياض علم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، دار القلم، دمشق، ط:1، 1999.

5- أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، تح: عمر الفاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط:1، 1993.

6- أبو بكر عبد القادر الجرجاني: الرسالة الشافية، تح: محمد شاكر، الخناجي، القاهرة، د.ط، 1984.

7- ابن الرشيق القيرواني أبو علي حسن: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج:2، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط:1، 1972.

8- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط:3، د. ت.

9-حسن جلاب: الآثار الأدبية لصوفية مراكش، ج:2، المكتبة والوراقة الوطنية، مراكش، ط:1، 1994.

10- زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ط، 1935.

11- سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، القاهرة، د. ط، د. ت.

12- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة،ط:1، 1965.

13- عبد السلام غريمني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2000.

14- فاطمة عمران: المديح النبوي في الشعر الأندلسي، مطبعة ليلى، ط:1، 1428هـ.

15- محمد بركات البيلي: الزهاد المتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، 1993.

16- محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق، ط:1، 2000.

17- منجد مصطفى: الاتجاه الإسلامي في الشعر العربي الأندلسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:1، 1986.

المجـــلات:

1- زينب بوصبيعة: شعر الزهد في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، مجلة الأمير عبد القادر، قسنطينة،ع:2، 2006.

2- عمر إبراهيم توفيق: فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، ع:1، مجلد:5، 2000.

الفهرس

فهرس المحتويات

المحتويـــــــات	الصفحـة
• إهداء	
• شكر و عرفان	
• مقدمة	أ - د
تمهيد: ترجمة حياة القاضي عياض	
نسبه	07
مولده	08
نشأته	08
صفاته	08
شيوخه	09
ولايته للقضاء	10
تلاميذه	11
وفاته	12
مؤلفاته	12
الفصل الأول: الشعر الديني في الأندلس وبواعثه	
نشأة وتطور الشعر الديني في الأندلس	15
النشأة	15
التطور	19
بواعث الشعر الديني في الأندلس	21
الباعث الأمني والسياسي	22
الباعث الاجتماعي	23
باعث الشيخوخة	24
باعث الرحالات	25
الباعث المالكي	26
الباعث النفسي والثقافي	26
مضامين الشعر الديني عند القضاة	27
نبد الدنيا وتحقيرها	28

التوبـــــة	30
الخوف من الله والتضرع	31
الوعظ والنصح	32
التذكير بالموت والاستعداد له	33
الاعتراف بالنعم	35
الشباب والشيب	36
الفصل الثاني: التجربة الدينية في شعر القاضي عياض	
موضوعات الشعر عند عياض	40
في الوصف	41
في الغزل	42
في المدح	42
المراسلات	43
في الإخوانيات	43
في الشكوى	44
في الوداع	44
في الشوق والحنين	45
في السفر	45
في النصح والإرشاد	46
في العلم	46
في التورية	47
مضامين الشعر الديني عند عياض	47
في التوبة	48
في الدعاء	48
في الموعظة	49
في منجاة الله عز وجل والتوكل عليه	49
في الشوق والحنين لزيارة المدينة المنورة	50
في مدح الرسول	50
في التوسل والشفاعة برسول الله	52
في مدح الأماكن المقدسة	53
التشكيل الفني في شعر القاضي عياض	54
الألفاظ	54

السهولة والوضوح	55
التكرار	56
الاقتراب من لغة السرد	62
التناص القرآني	63
الحقل الدلالي	65
الألفاظ الدالة على الشوق والحنين	65
الألفاظ الدالة على الأماكن المقدسة	66
الألفاظ الدالة على التوسل والشفاعة	67
• الخاتمة	70
• قائمة المصادر والمراجع	74
• فهرس المحتويات	79
• ملخص الدراسة	83

ملخص

ملـخّص :

عرضت في هذا البحث الموسوم "النزعة الدينية في شعر القضاة القاضي عياض أنموذجا " إلى موضوعات شعرية طبعت بنزعة دينية جلية مثلها مجموعة من القضاة المشهورين في تلك الفترة من تاريخ الأندلس، مع التنويه على أن انتشار هذه النزعة في قصائد الكثير من الشعراء يعود سببه إلى ارتفاع نسبة التوجه الديني داخل المجتمع الأندلسي بسبب عوامل عدة، ومنه كان القصد معرفة مدى تأثير هذه الموجة في شخصية هؤلاء القضاة ذوي الموهبة الشعرية وانعكاس صدها في أشعارهم، وكان خير مثال عن هذه الفئة القاضي عياض أحد القضاة المشهورين في عهد المرابطين لرصد تجليات هذه الظاهرة في تجربته الشعرية.

الكلمات المفتاحية: النزعة – الدينية – القضاة – الشعر– القاضي عياض.

Summary:

In this research, "Religiousism in Judges' Poetry", Ayyad, was presented as a model to the poetry of a group of famous jurists in the period of Andalusia. It is noted that the spread of this tendency in the poems of many poets is due to the rise The percentage of religious orientation within the Andalusian society due to several factors, and it was intended to know the extent of the impact of this wave in the personality of these judges with poetic talent and reflected resonance in their poems, and the best example of this category Judge Ayad, one of the famous judges in the era of Almoravidin to monitor the manifestations of this phenomenon in his experience a Lattice.

key words:

Religion - Judges - Poetry - Judge Ayad.